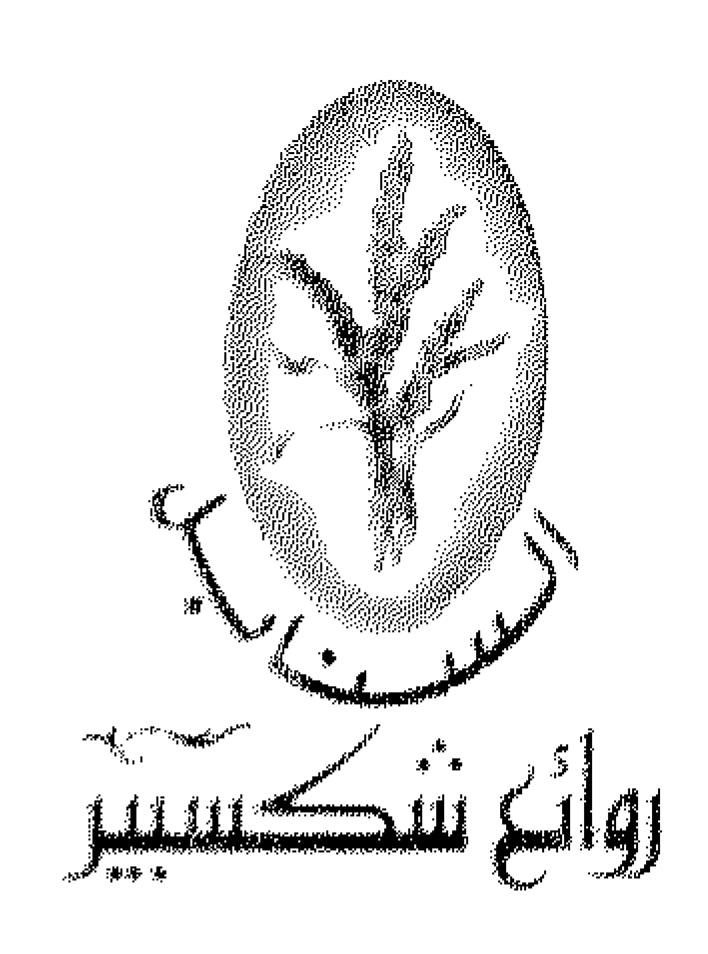


روائع شكسبير

روميو وجولييت
ماكبث
أنطونيوس وكليوباترا

روميو و جولييت
ماكبث
أنطونيوس وكليوپاترا



رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٥٥٩٥ / ١٩٩٢

الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ - ١٦ - ٠٠٩٣ - ١

طبع في دار نوبار للطباعة

روميو و جولييت
ماكبث
أنطونيوس و كليوپاترا

روائع شكسبير



تأليف : وليم شكسبير

أعدها بالعربية : روفائيل مسيحه

رسوم : شكري هشام



الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

روميو وجولييت

ڤيرونا هِيَ إحْدى مُدُنِ إيطاليا . وَكانَ في هَذِهِ المَدينَةِ عائِلَتانِ كَبيرَتانِ هُما عائِلَةُ مونْتاغْيو وَعائِلَةُ كابْيولِت . وَقَدْ كانَ بَيْنَ العائِلَتَيْنِ عَداءٌ مُسْتَحْكِمٌ ، لَيْسَ فَقَطْ بَيْنَ السّادَةِ ، وَإِنَّما بَيْنَ الخَدَمِ أَيْضاً ، حَتّى إنَّ هَؤُلاءِ كانوا يَتَشاتَمونَ وَيَتَعارَكونَ كُلَّما الْتَقَوْا .

وَتَحْكي الصَّفحاتُ التّالِيَةُ قِصَّةَ حُبِّ روميْو ، وَهُوَ مِنْ آلِ مونْتاغْيو ، وَجولييت ، وَهِيَ مِنْ آلِ كابْيولِت .

حَدَثَ ذاتَ يَوْمٍ أَنِ الْتَقى سامپسون وَغريغوري ، وَهُما خادِمانِ في بَيْتِ كابْيولِت ، كُلًّا مِنْ أبرام وَبَلثاسَر مِنْ خَدَمِ مونْتاغْيو ؛ فَبَدَأَ الجانِبانِ يَقْتَتِلانِ .

وَبَيْنَما هُمْ آخِذونَ في ذَلِكَ ، إِذْ بِأَحَدِ أَصْدِقاءِ روميْو ، وَيُدْعى بِنْفولْيو ، يَمُرُّ بِهِمْ وَهُوَ في طَريقِهِ . وَقَدْ كانَ رَجُلاً مُحِبًّا لِلسَّلام

وَالهُدوءِ ؛ لِذا حاوَلَ وَقْفَ القِتالِ .

صاحَ فيهِمْ : « كَفى ! »

وَلَكِنْ بَعْدَ فَواتِ الأوانِ ؛ إذْ وَصَلَ تيبالْت ، وَهُوَ شابٌ مُتَهَوِّرٌ سَريعُ الغَضَبِ ، وَمِنْ عائِلَةِ كابْيولِت . اِرْتَفَعَ الصَّخَبُ وَالصِّياحُ ؛ فَجاءَ رِجالُ الشُّرْطَةِ ، وَجاءَ كَذَلِكَ كابْيولِت الكَبيرُ وَزَوْجَتُهُ وَمونْتاغْيو الكَبيرُ وَزَوْجَتُهُ . وَكانَ القِتالُ عَلى أشُدِّهِ .

وَفوجِئَ الجَميعُ بِالأميرِ إسْكالوس يَقِفُ أمامَهُمْ ، وَقَدْ نالَ مِنْهُ الغَضَبُ ، فَقالَ : « أيُّها الرِّجالُ ! بَلْ أيُّها الوُحوشُ ! إنَّ مَعارِكَكُمْ كَثيراً ما أفْسَدَتْ أمْنَ شَوارِعِنا . وَالآنَ أنْصِتوا ! إنْ عُدْتُمْ إلى إثارَةِ القَلاقِلِ في شَوارِعِنا مَرَّةً أخْرى فَسَتَدْفَعونَ حَياتَكُمْ ثَمَناً لِهَذا ! وَالآنَ فَلْتُغادِروا هَذا المَكانَ .» وَكانَ مونْتاغْيو وَزَوْجَتُهُ وَبِنْفولْيو آخِرَ مَن انْصَرَفَ .

سَألَتِ السَّيِّدَةُ مونْتاغْيو : « أيْنَ رُومْيو ؟ إنِّي مَسْرورَةٌ جِدًّا لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُشْتَرِكًا في هَذا القِتالِ .»

قالَ بِنْفولْيو : « في وَقْتٍ جِدِّ مُبَكِّرٍ مِنْ هَذا الصَّباحِ لَمْ أسْتَطِعِ النَّوْمَ ؛ فَخَرَجْتُ أتَمَشّى في أجَمَةٍ غَرْبِيَّ المَدينَةِ ، وَهُناكَ رَأيْتُ رومْيو بِمُفْرَدِهِ ؛ فاتَّجَهْتُ نَحْوَهُ ، وَلَكِنْ ما إنْ رَآني حَتّى ابْتَعَدَ وَاخْتَفى في

الغابَةِ ، فَتَرَكْتُهُ وَشَأْنَهُ وَلَمْ أَتَعَقَّبْهُ .»

قالَ مونْتاغْيو ، والِدُ روميو : « لَقَدْ شوهِدَ روميو مِراراً كَثيرَةً في وَقْتِ الصَّباحِ وَحيداً يَبْكي ، وَلَكِنْ ما إنْ تَرْتَفِعُ الشَّمْسُ حَتّى يَذْهَبَ إلى حُجْرَتِهِ وَيُغْلِقَها لِيُبْعِدَ ضَوْءَ النَّهارِ . إنَّ المَخاوِفَ تُساوِرُني بِشَأْنِهِ .»

قالَ بِنْفوليو : « أُنْظُرا ، ها هُوَ ذا قادِمٌ . أَرْجوكُما أَنْ تَبْتَعِدا ، وَسَأُحاوِلُ أَنْ أَكْشِفَ عَنْ سَبَبِ قَلَقِهِ وَاضْطِرابِهِ .»

وَلَمْ تَكُنْ بِهِ حاجَةٌ لأَنْ يُوَجِّهَ إِلَيْهِ كَثيراً مِنَ الأَسْئِلَةِ لِيَعْرِفَ الحَقيقَةَ ؛ إذْ سَرْعانَ ما قالَ لَهُ روميو : « إنّي أُحِبُّ روزالين الجَميلَةَ ، وَلَكِنَّها لا تُحِبُّني .»

أَسْدى لَهُ بِنْفوليو ، صَديقُهُ الحَميمُ ، كُلَّ ما في وُسْعِهِ لِمُساعَدَتِهِ وَلَكِنْ دونَ جَدْوى .

قالَ بِنْفوليو : « اِنْسَها وَلا تُفَكِّرْ فيها .»

رَدَّ روميو : « لَيْسَ في اسْتِطاعَتِكَ أَنْ تُعَلِّمَني كَيْفَ أَنْسى .»

قالَ بِنْفوليو : « عَلَيْكَ أَنْ تُرْخِيَ لِعَيْنَيْكَ الزِّمامَ . أُرْنُ إلى غَيْرِها مِنَ الجَميلاتِ .»

أجابَ رومْيو : « سَأرى أنَّ روزالين أكْثَرُ فِتْنَةً مِنْ أيَّةِ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ .»

* * * *

في أحَدِ شَوارِعِ ڤيرونا كانَ الكونْت پاريس يَتَحَدَّثُ إلى كاپْيولِت والِدِ جُولْييت .

قالَ الكونت پاريس : « ما رَأْيُكَ في أنْ تُزَوِّجَني جولييت ؟»

رَدَّ كاپْيولت : « إنَّها لا تَزالُ صَغيرَةً عَلى الزَّواجِ ؛ فَلْنَنْتَظِرْ صَيْفَيْنِ آخَرَيْنِ قَبْلَ التَّفْكيرِ في أمْرٍ كَهَذا . إنَّها ابْنَتي الوَحيدَةُ ، وَلكِنْ بِمَقْدورِكَ أنْ تَتَحَدَّثَ إلَيْها لِتَرى ما إذا كانَ في اسْتِطاعَتِكَ أنْ تَفوزَ بِقَلْبِها . إنَّ لَدَيْنا اللَّيْلَةَ حَفْلاً كَبيراً تَعَوَّدْتُ أنْ أقيمَهُ مُنْذُ سَنَواتٍ في مِثْلِ هَذا الوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ . وَقَدْ دَعَوْتُ جَميعَ أصْدِقائي ، فَلْتَأتِ وَلْتَكُنْ واحِداً مِنْهُمْ ؛ فَإنَّ جولييت سَوْفَ تَكونُ في الحَفْلِ .»

وَدَعا كاپْيولت واحِداً مِنْ خَدَمِهِ وَقالَ لَهُ : « طُفْ بِأرْجاءِ ڤيرونا . وَقابِلْ كُلَّ هَؤُلاءِ المَكْتوبَةِ أسْماؤُهُمْ هُنا ، وَقَدِّمْ لَهُمْ الدَّعْوَةَ إلى حَفْلِ عَشاءٍ في مَنْزِلي .»

قالَ الخادِمُ في نَفْسِهِ : « إنَّ أمْراً كَهَذا لَهُوَ بالِغُ الصُّعوبَةِ

بِالنِّسْبَةِ لي ؛ لأنَّني لا أسْتَطيعُ القِراءَةَ !»

كانَ بِنْفولْيو وَ روميو يَسيرانِ في الشّارِعِ نَفْسِهِ وَهُما لا يَزالانِ يَتَحَدَّثانِ عَنْ مِحْنَةِ روميو عِنْدَما بادَرَ الخادِمُ روميو وَأعْطاهُ قائِمَةَ الأسْماءِ قائِلاً : « عَفْواً سَيِّدي ، هَلْ تَسْتَطيعُ القِراءَةَ ؟»

وَأخَذَ روميو يَقْرَأُ لَهُ : « سنيور مارْتينو وَزَوْجَتُهُ وَبَناتُهُ ؛ كونت أنْسِلْم وَشَقيقَتاهُ الجَميلَتانِ لوشير و هيلينا ؛ روزالين ... وَأيْنَ سَيَجْتَمِعُ هَؤُلاءِ ؟»

« في حَفْلِ عَشاءٍ بِمَنْزِلِ سَيِّدي كابيولت . إذا لَمْ تَكُنْ مِنْ عائِلَةِ مونْتاغيو ، فَلْتَأتِ لِتَتَناوَلَ مَعَنا العَشاءَ .»

قالَ بِنْفولْيو وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ السُّرورُ : « هَذِهِ هِيَ الفُرْصَةُ الّتي كُنْتُ أريدُها لَكَ ! اِذْهَبْ إلى هُناكَ وَقارِنْ بَيْنَ روزالين وَغَيْرِها مِنَ الحَسْناواتِ . إنَّها جَميلَةٌ في عَيْنَيْكَ لأنَّكَ لَمْ تَرَ سِوى قَليلٍ غَيْرِها .»

« سَوْفَ أذْهَبُ وَلَكِنْ لأمَتِّعَ ناظِرَيَّ بِروزالين وَحْدَها ؛ فَالشَّمْسُ لَمْ تَرَ ألْبَتَّةَ نَظيراً لَها مُنْذُ أنْ خَلَقَ اللَّهُ الأرْضَ .»

* * * *

كانَتْ جولييت مَعَ أمِّها اللّيدي كابيولت ، وَمُرَبِّيَتِها مُنْذُ

طُفولَتِها .

قالَتِ المُرَبِّيَةُ : « لَقَدْ كُنْتِ أجْمَلَ طِفْلَةٍ قُمْتُ بِتَرْبِيَتِها . لَيْتَني أعيشُ حَتّى أراكِ وَقَدْ تَزَوَّجْتِ ! حَينَئِذٍ أكونُ قَدْ نِلْتُ كُلَّ ما أبْتَغيهِ .»

قالَتْ اللَّيدي كابْيولِت : « هَذا هُوَ ما جِئْتُ لأتَكَلَّمَ عَنْهُ . بُنَيَّتي جولييت ، بِماذا تَشْعُرينَ عِنْدَما تُفَكِّرينَ في الزَّواجِ ؟»

أجابَتْ جولييت : « أنا لَمْ أفَكِّرْ كثيراً في هَذا الأمْرِ .»

« ثَمَّةَ فَتَياتٌ أصْغَرُ مِنْكِ سِنًّا ، هُنا في ڤيرونا ، هُنَّ الآنَ أمَّهاتٌ وَسَيِّداتٌ مَرْموقاتٌ . سَأُفْضي إلَيْكِ بِخَبَرٍ الآنَ : إنَّ الكونْت باريس يَأمُلُ أنْ يَحْظى بِحُبِّكِ .»

صاحَتِ المُرَبِّيَةُ : « إنَّهُ رَجُلٌ .. وَرَجُلٌ بِمَعْنى الكَلِمَةِ . إنَّهُ زَهْرَةُ رِجالِ ڤيرونا .»

قالَتْ اللَّيدي كابْيولِت : « سَوْفَ تَرَيْنَهُ اللَّيْلَةَ في وَليمَتِنا . إنَّهُ في حاجَةٍ إلى زَوْجَةٍ . إنَّهُ بِحاجَةٍ إلَيْكِ أنْتِ بِالذّاتِ لِتَكْتَمِلَ حَياتُهُ .»

* * * *

وَحينَ أرْخى اللَّيْلُ سُدولَهُ اِرْتَدى كُلٌّ مِنْ روميو وَبِنْڤوليو قِناعاً

وَذَهَبا إلى الحَفْلِ في بَيْتِ كابْيولِت .

وَسَمِعَ تيبالْت ، وَهُوَ مِنْ آلِ كابْيولِت ، صَوْتَ روميو في حَفْلِ العَشاء ، فَقالَ : « أنا أعْرِفُ ذَلِكَ الصَّوْتَ . إنَّهُ مِنْ عائِلَةِ مونْتاغْيو . كَيْفَ تَبْلُغُ بِهِ الجُرْأَةُ أنْ يَأتِيَ إلى هُنا ؟» وَخاطَبَ خادِمَهُ قائِلاً : « إلَيَّ بِسَيْفي .»

سَأَلَهُ كابْيولِت : « ماذا حَدَثَ ؟»

« إنَّ هَذا الرَّجُلَ مِنْ أفْرادِ عائِلَةِ مونْتاغْيو ، أعْدائِنا .»

« أ هُوَ روميو ؟»

« أجَلْ .»

« دَعْهُ وَشَأنَهُ . إنَّ الجَميعَ في ڤيرونا يَقولونَ إنَّهُ شابٌّ طَيِّبٌ دَمِثُ الأخْلاقِ . لا تُعِرْهُ التِفاتاً ، وَاطْرَحِ الغَضَبَ عَنْكَ ؛ فَإنَّهُ لا يَتَّفِقُ وَالوَلائِمَ .»

أمّا روميو فَقَدْ حَدَثَ لَهُ حادِثٌ غَريبٌ ؛ إذْ وَقَعَتْ عَيْناهُ عَلى فَتاةٍ هِيَ مِنَ الجَمالِ وَالرِّقَّةِ وَالفِتْنَةِ في أعْلى عِلِّيّينَ ؛ مِمّا أنْساهُ روزالين، فَأحَسَّ أنَّهُ لَمْ يَعْرِفِ الحُبَّ الحَقيقِيَّ إلّا وَقْتَئِذٍ . وَكانَتْ جولييت قَدْ رَأتْهُ فَوَقَعَتْ في حُبِّهِ مِنَ النَّظْرَةِ الأولى . وَدَنا مِنْها وَأخَذَ يُحَدِّثُها



وَلَكِنَّ حَديثَهُما لَمْ يَدُمْ طَويلاً ؛ إذْ جاءَتْ مُرَبِّيَتُها لِتَقولَ لَها : « إنَّ أُمَّكِ تَرْغَبُ في الحَديثِ إلَيْكِ .»

قالَ رُومْيو : « مَنْ أُمُّها ؟»

« أُمُّها سَيِّدَةُ هَذا البَيْتِ .»

كانَ وَقْعُ هَذا القَوْلِ عَلى رومْيو بالِغَ القَسْوَةِ . وَحينَ أَخَذَ الحُضورُ يُغادِرونَ ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ رومْيو ، كانَتْ جولييت تَرْقُبُهُمْ ، فَنادَتْ مُرَبِّيَتَها قائِلَةً : « إلَيَّ . مَنْ هَذا السَّيِّدُ البادي هُناكَ ؟ الرَّجُلُ الَّذي لَمْ يَشْتَرِكْ في الرَّقْصِ . اِذْهَبي وَاسْأَليهِ عَنِ اسْمِهِ .» وَذَهَبَتِ المُرَبِّيَةُ وَعادَتْ لِتَقولَ : « اِسْمُهُ رومْيو ، وَهُوَ مِنْ آلِ مونْتاغيو . الابْنُ الوَحيدُ لِعَدُوِّكُمُ اللَّدودِ .»

* * * *

في اللَّيْلَةِ نَفْسِها ، وَعَلى حينِ كانَ أَصْدِقاءُ رومْيو يُحاوِلونَ العُثورَ عَلَيْهِ ، كانَ رومْيو واقِفاً تَحْتَ نافِذَةِ جولييت ، الَّتي كانَ يَنْبَعِثُ مِنْها الضَّوْءُ ، وَهُوَ يُرَدِّدُ :

« إنَّها جولييت ... جولييت حَبيبَتي . إنَّها تَتَحَدَّثُ وَلَكِنَّها لا تَتَحَدَّثُ إلَيَّ . إنَّها تَرْنو بِعَيْنَيْها إلى النُّجومِ . وَلَوْ كانَتْ عَيْناها في السَّماءِ لَسَطَعَتِ السَّماءُ بِنورِهِما ، حَتّى إنَّ الطُّيورَ قَدْ تَنْهَضُ



وَتُغَنّي ؛ ظانَّةً أنَّ الصُّبْحَ قَدِ انْبَلَجَ .»

وَكانَتْ جولييت تَنْظُرُ إلى خارِجِ نافِذَتِها ، مُسْنِدَةً خَدَّها إلى يَدِها ، مُسْتَغْرِقَةً في التَّفْكيرِ في روميو ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ أَنَّهُ هُناكَ يَتَسَمَّعُ .

« إيهِ يا روميو ؛ لِماذا سَمَّوْكَ هَكَذا ؟ فَلْتُغَيِّرِ اسْمَكَ . وَإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ ؛ فَلَنْ أكونَ أنا مِنْ كابيولِت في قابِلِ الأيّامِ . إنَّ اسْمَكَ وَحْدَهُ هُوَ عَدُوّي . وَلَكِنْ ما الأسْماءُ ؟ إنَّ مَا نُسَمّيهِ وَرْداً يَبْقى شَذاهُ كَما هُوَ إنْ أطْلَقْنا عَلَيْهِ اسْماً آخَرَ .»

وَفاجَأها روميو بِالقَوْلِ : « فَلْتُنادِيني « حَبيبي » ، وَسَيَكونُ هَذا اسْمي . وَمِنَ الآنَ فَصاعِداً لَنْ أكونَ روميو أبَداً . إنَّني أبْغَضُ اسْمي لأنَّهُ عَدُوٌّ لَكِ .»

قالَتْ جولييت : « كَيْفَ أتَيْتَ إلى هُنا ؟ إنَّ الأسْوارَ عالِيَةٌ .»

« لا تَسْتَطيعُ الأسْوارُ الحَجَرِيَّةُ أنْ تَقِفَ في وَجْهِ الحُبِّ .»

« لَوْ رَآكَ أحَدٌ مِنْ عائِلَتي هُنا لأرْداكَ قَتيلاً .»

« لأنْ أموتَ عَلى أيْديهِمْ ، لأنَّهُمْ يَكْرَهونَني ، أفْضَلُ عِنْدي مِنْ أنْ أحْيا دونَ حُبِّكِ .»

« أ وَ تُحِبُّني ؟ أنا أعْرِفُ أنَّكَ سَتُجيبُ : « نَعَمْ » . وَحَتّى لَوْ أقْسَمْتَ فَقَدْ تَكونُ مَعَ هَذا غَيْرَ صادِقٍ .»

« أيْ سَيِّدَتي ! إنَّني أقْسِمُ بِهَذا القَمَرِ الَّذي تُكَلِّلُ أشِعَّتُهُ الفِضِّيَّةُ هاماتِ أشْجارِ الفاكِهَةِ هَذِهِ .»

« لا ! لا تُقْسِمْ بِالقَمَرِ ؛ فَهُوَ يَتَقَلَّبُ كُلَّ شَهْرٍ ؛ لِئَلّا يَكونَ حُبُّكَ مُتَقَلِّباً مِثْلَهُ .»

« بِماذا تُريدينَني أنْ أُقْسِمَ ؟»

« لا تُقْسِمْ أَلْبَتَّةَ .»

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ جاءَها صَوْتُ المُرَبِّيَةِ ، فَقالَتْ : « إنِّي أَسْمَعُ صَوْتاً . إلى اللِّقاءِ ، يا حَبيبي .»

وَاتَّجَهَتْ جولييت إلى الدّاخِلِ ، وَلَكِنَّها سَرْعانَ ما عادَتْ ، وَقالَتْ لَهُ : « يا عَزيزي روميو ! إذا كانَتْ دَوافِعُ حُبِّكَ شَريفَةً ، وَكانَ الزَّواجُ غايَتَكَ فَلْتُرْسِلْ إلَيَّ كَلِمَةً غَداً . سَأَبْعَثُ إلَيْكَ بِرَسولٍ يَأتيني بِجَوابِكَ . أخْبِرْني أيْنَ وَمَتى سَتَتَزَوَّجُني ، وَسَأَضَعُ كُلَّ ما أمْلِكُهُ تَحْتَ قَدَمَيْكَ ، وَأَتْبَعُكَ إلى أيِّ مكانٍ تَذْهَبُ إلَيْهِ في هَذا العالَم .»

وَنادَتِ المُرَبِّيَةُ ثانِيَةً فَذَهَبَتْ إلَيْها جولييت ، وَلَكِنَّها عادَتْ مِنْ جَديدٍ وَقالَتْ لَهُ : « روميو .»

« لَبَّيْكِ حَبيبَتي .»

« في أيِّ وَقْتٍ مِنْ صَباحِ الغَدِ تُريدُني أنْ أُرْسِلَ إلَيْكَ ؟»

« فِي التّاسِعَةِ .»

« لَنْ أخْفِقَ في ذَلِكَ . لَقَدْ أشْرَقَ الصَّباحُ أوْ كادَ . يَجِبُ أنْ أتْرُكَكَ تَذْهَبُ ، وَلَكِنْ لَيْسَ إلى أبْعَدِ مِمّا يَسْمَحُ بِهِ طِفْلٌ لِطائِرِهِ أنْ يَطيرَ مِنْ يَدِهِ ، ثُمَّ يَجْذِبُهُ إلَيْهِ ثانِيَةً بِخَيْطٍ مِنْ حَريرٍ .»

« كَمْ أتَمَنّى أنْ أكونَ طائِرَكِ !»

« طابَتْ لَيْلَتُكَ ! طابَتْ لَيْلَتُكَ ! إنَّ الفِراقَ هُوَ الأسى العَذْبُ الّذي يَجْعَلُني أقولُ طابَتْ لَيْلَتُكَ ، حَتّى يُشْرِقَ الصَّباحُ .» ثُمَّ عادَتْ إلى حُجْرَتِها .

هَمْهَمَ روميو : « لِيَقَرَّ الكَرى في أجْفانِكِ ، وَالسَّلامُ في فُؤادِكِ .»

ثُمَّ سارَ في طَريقِهِ ، وَهُوَ يَقولُ لِنَفْسِهِ : « يَجِبُ أنْ أذْهَبَ إلى الشَّيْخِ لورَنْس .»

* * * *

كانَ لورَنْس هَذا رَجُلاً تَقِيًّا يَعيشُ في صَوْمَعَةٍ ، وَكانَ كُلٌّ مِنْ روميو وجولييت يَعْرِفانِهِ .

وَفي الصَّباحِ التّالي كانَ لورَنْس يَقومُ بِجَمْعِ باقَةٍ مِنَ الأزْهارِ



وَالوَرْدِ ؛ إذ كانَ خبيراً بِالنَّباتاتِ وَيَعْرِفُ الكَثيرَ مِنْ خَصائِصِها في مُعالَجَةِ الأمْراض ، وَفي جَلْبِ النَّوْمِ إِلى المَرْضى والمُتْعَبينَ . وَقَدْ كانَ الوَقْتُ جِدَّ مُبَكِّرٍ حينَ فوجِئَ بِروميو يَعْدو نَحْوَهُ .

« هَل خَرَجْتَ مُبَكِّرًا لأنَّكَ لَمْ تَنَمْ مِنْ طولِ تَفْكيرِكَ في روزالين ؟»

« روزالين ؟ لا ! لَقَدْ نَسيتُ اسْمَها وَكُلَّ الشَّقاءِ الَّذي يَسيرُ في رِكابِهِ . لا بُدَّ لي أنْ أصارِحَكَ : إِنّي أحِبُّ ابْنَةَ كابْيولِت الجَميلَةَ وَهِيَ تُحِبُّني . أرْجوكَ أنْ تَعْقِدَ قِرانَنا اليَوْمَ .»

صاحَ الشَّيْخُ : « يا لَهُ مِنَ تَحَوُّلٍ مُفاجِئٍ ! إِنَّهُ شَرٌّ . إِنّي أتَوَجَّسُ مِنْهُ خيفَةً .»

« لا تُخاطِبْني بِهَذِهِ اللَّهْجَةِ القاسِيَةِ . إنَّ جولييت تُحِبُّني ، أمّا روزالين فَلَمْ تَكُنْ . أتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أنْ تُزَوِّجَنا اليَوْمَ .»

قالَ الشَّيْخُ الحَكيمُ : « إِنَّ روزالين كانَتْ تَعْرِفُ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ جادًّا في حُبِّكَ . وَلَكِنَّني سَأزَوِّجُكَ فَقَدْ يُحَوِّلُ هَذا الزَّواجُ العَداوَةَ بَيْنَ عائِلَتَيْكُما إلى مَحَبَّةٍ .»

* * * *

أصْبَحَ روميو الآنَ سَعيداً . وَكانَ يَقِفُ مَعَ صَديقَيْهِ مِرْكَتْيو

وَبنفوليو حينَ أَتَتِ المُرَبِّيَةُ إلى حَيْثُ كانوا يَتحادَثونَ . وَكانَتِ التَّدابيرُ تُتَّخَذُ بِسُرْعَةٍ لِعَقْدِ القِرانِ ، فَقالَ رومْيو لِلْمُرَبِّيَةِ : « أَخْبري جولييت أنْ تَلْتَمِسَ وَسيلَةً تُمَكِّنُها مِنْ أنْ تَذْهَبَ إلى الشَّيْخِ لورَنْس بَعْدَ ظُهْرِ اليَوْمِ ؛ فَسَيَعْقِدُ قِرانَنا في صَوْمَعَتِهِ . أَمّا أَنْتِ فَإنَّ خادِمي بَلْثاسَر سَوْفَ يُقابِلُكِ في غُضونِ ساعَةٍ ، وَسَيُحْضِرُ إِلَيْكِ سُلَّماً مِنْ حِبالٍ أَسْتَطيعُ بِهِ أنْ أَتَسَلَّقَ اللَّيْلَةَ إلى حُجْرَةِ جولييت . إلى اللِّقاءِ . أَبْلِغي سَيِّدَتِكِ رَقيقَ تَحِيّاتي .»

قالَتْ : « سَأُبَلِّغُها أَلْفَ مَرَّةٍ .»

كانَتْ جولييت في انْتِظارِ عَوْدَةِ المُرَبِّيَةِ ، وَحينَ رَأَتْها تَهِلُّ عَلَيْها قالَتْ : « ها هِيَ ذي قادِمَةً . مُرَبِّيَتي العَزيزَةَ ، ما وَراءَكِ مِنْ أَنْباءٍ ؟ هَلِ التَقَيْتِهِ ؟ ماذا يَقولُ عَنْ زَواجِنا ؟»

« هَلْ تَسْتَطيعينَ أنْ تَذْهَبي إلى الشَّيخِ لورَنْس في صَوْمَعَتِهِ اليَوْمَ ؟»

« نَعَمْ .»

« إذاً فَلْتَذْهَبي عَلى الفَوْرِ إلى هُناكَ ؛ فَرومْيو في انْتِظارِكِ لِيَتَزَوَّجَكِ – ها قَد اعْتَرَتْكِ حُمْرَةُ الخَجَلِ ! أَمّا أَنا فَعَلَيَّ الآنَ أنْ أَذْهَبَ لأُحْضِرَ سُلَّماً يَسْتَطيعُ حَبيبُكِ أنْ يَتَسَلَّقَهُ إلى حُجْرَتِكِ



اللَّيْلَةَ .»

« يا لَكِ مِنْ مُرَبِّيَةٍ طَيِّبَةٍ !»

وَفي عَصْرِ ذَلِكَ اليَوْمِ عَقَدَ الشَّيْخُ لورَنْس قِرانَ روميو بِجولييت . وَبَعْدَ فَتْرَةٍ قَصيرَةٍ في اليَوْمِ نَفْسِهِ كانَ بِنْفوليو وَمِرْكَتْيو يَتَحَدَّثانِ مَعًا ، فَقالَ بِنْفوليو : « هَيّا بِنا يا مِرْكَتْيو ؛ فَآلُ كابْيولِت في مَكانٍ قَريبٍ مِنّا . وَأَخْشى إذا قابَلْناهُمْ أَنْ يَنْشَبَ بَيْنَنا القِتالُ .»

وَكانَ في ذَلِكَ عَلى حَقٍّ ؛ فَقَدْ حَدَثَ فَجْأَةً أَنْ تَقابَلَ مِرْكَتْيو وَتيبالْت في الشّارِعِ ، وَكانَ تيبالْت مِنْ آلِ كابْيولِت وَمِرْكَتْيو صَديقًا لِروميو ، الَّذي كانَ حاضِراً وَقْتَذاكَ ، وَحاوَلَ أَنْ يَمْنَعَهُما مِنَ الاشْتِباكِ . وَلَكِنْ كُلُّ ما اسْتَطاعَ بِنْفوليو أَنْ يَقولَ وَكُلُّ ما اسْتَطاعَ روميو أَنْ يَفْعَلَ أَوْ يَقولَ لَمْ يَكُنْ لِيَمْنَعَهُما . وَكانَ روميو قَدْ تَزَوَّجَ بِجولييت لِتَوِّهِ وَهِيَ مِنْ كابْيولِت ؛ وَلِهَذا أَصْبَحَ عُضْواً في عائِلَةِ تيبالْت ، أَيْ عائِلَةِ كابْيولِت .

وَلَمْ يَرُقْ لِمِرْكَتْيو أَنْ يَرى روميو يُبْدي شَيْئًا مِنَ الوُدِّ لِتيبالْت عَلى هَذا النَّحْوِ المُفاجِئِ الَّذي يَدْعو إِلى الدَّهْشَةِ ، فَصاحَ بِتيبالْت : « سَأُنازِلُكَ بَدَلاً مِنْهُ .»

وَبَدَأَتِ المُبارَزَةُ . وَكَأَمَلٍ أَخيرٍ حاوَلَ روميو أَنْ يَقِفَ بَيْنَهُما ؛

فَتَعذَّرَ عَلى مِرْكَتْيو رُؤْيَة حَرَكاتِ تيبالْت الَّذي مَرَقَ سَيْفُهُ مِنْ تَحْتِ ذِراعِ روميو فَأصابَ مِرْكَتْيو بِجُرْحٍ نافِذٍ ، ثُمَّ لاذَ تيبالْت بِالفِرارِ .

صاحَ مِرْكَتْيو : « لَقَدْ أصبْتُ . ألا لَعْنَةُ اللّهِ عَلى عائِلَتَيْكُما، وَلْيَحُلَّ الطّاعونُ بِبَيْتِكُما . أَيْنَ خادِمي ؟ اِذْهَبْ وَأَحْضِرْ طَبيباً .»

فَقالَ لَهُ روميو : « تَشَجَّعْ يا رَجُلُ ؛ فَقَدْ لا يَكونُ الجُرْحُ غائِراً.»

« لا ، إِنَّهُ لَيْسَ عَميقاً عُمْقَ بِئْرٍ ، وَلا عَريضاً عَرْضَ بابٍ ، وَلَكِنَّهُ غائِرٌ بِما فيهِ الكِفايَةُ . إنْ سَأَلْتَ عَنّي غَداً فَسَيَكونُ عَلَيْكَ أنْ تَجِدَ لي قَبْراً . لِماذا ، بِحَقِّ الشَّيْطانِ ، وَقَفْتَ بَيْنَنا ؟ لَقَدْ مَرَقَ السَّيْفُ مِنْ تَحْتِ ذِراعِكَ . ساعِدْني ، يا بِنْفوليو ، في الوُصولِ إلى أقْربِ مَنْزِلٍ .»

وَسُرْعانَ ما عادَ بِنْفوليو لِيَقولَ : « روميو ، لَقَدْ ماتَ مِرْكَتْيو البَطَلُ .»

أظْلَمَتِ الدُّنْيا في عَيْنَيْ روميو ؛ فَقَدْ ماتَ صَديقُهُ الحَميمُ بِسَبَبِهِ؛ وَ تيبالْت يَكْرَهُهُ أكْثَرَ مِنْ أيِّ وَقْتٍ مَضى ؛ وَسَيَغْضَبُ الأميرُ حينَ يَعْلَمُ بِمَقْتَلِ مِرْكَتْيو وَبِانْدِلاعِ القِتالِ مِنْ جَديدٍ .

عادَ تيبالْت ، فَصاحَ روميو : « تيبالْت حَيٌّ ، على حينَ ماتَ صَديقي . الآنَ لَنْ أعْبَأَ بِشَيْءٍ .» وَنَشِبَ القِتالُ مَريراً بَيْنَ روميو

وَ تيبالْت خَرَّ فيهِ تيبالْت صَريعًا .

وَصاحَ بِهِ بِنْفولْيو : « الفِرارَ ، يا رومْيو ، الفِرارَ ! إنَّ النّاسَ يُهْرَعونَ إلَيْنا مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ ، وَسَيَأْمُرُ الأميرُ بِإعْدامِكَ إنْ وَجَدَكَ هُنا .»

وَبَيْنما كانَ رومْيو التَّعِسُ يُوَلّي الأدْبارَ ، كانَ النّاسُ يَنْدَفِعونَ إلى المَكانِ وَمَعَهُمُ الأميرُ وَأفْرادُ العائِلَتَيْنِ . وَحينَ كانَتِ السَّيِّدَةُ كابْيولِت تَبْكي وَتَنْتَحِبُ بِجانِبِ جُثَّةِ تيبالْت وَجَّهَ الأميرُ السُّؤالَ : « مَنْ بَدَأَ هَذا القِتالَ ؟» فَبَذَلَ بِنْفولْيو قُصارى جَهْدِهِ لِيُعْطِيَ صورَةً صادِقَةً واضِحَةً لِما حَدَثَ .

قالَ الأميرُ : « حَيْثُ إنَّ رومْيو قَتَلَ تيبالْت ؛ فَقَدْ حُكِمَ عَلَيْهِ بِالنَّفْيِ مِنْ فيرونا ؛ فَإنْ وُجِدَ هُنا في أيَّةِ لَحْظَةٍ ، فَالمَوْتُ لَهُ .»

* * * *

أمّا جولييت فَكانَتْ تَنْتَظِرُ حَتّى يَجُنَّ اللَّيْلُ وَيَأْتِيَ لَها بِرومْيو ، وَكانَتْ تُناجي اللَّيْلَ قائِلَةً : « أقْبِلْ أيُّها اللَّيْلُ ! أقْبِلْ يا رومْيو ؛ فَإنَّكَ نَهارٌ في دُجى اللَّيْلِ . أقْبِلْ أيُّها اللَّيْلُ اللَّطيفُ ؛ هَبْ لي رومْيو . وَحينَ يَقْضي نَحْبَهُ خُذْهُ وَانْثُرْهُ نُجوعًا صَغيرَةً فَتُزَيِّنَ أديمَ السَّماءِ . وَحينَئِذٍ تُصْبِحُ السَّماءُ مِنَ الجَمالِ بِحَيْثُ يَهيمُ العالَمُ كُلُّهُ

حُبًّا بِاللَّيْلِ . ها قَدْ عادَتْ مُرَبِّيَتي . وَالآنَ ماذا عِنْدَكِ مِنْ أَنْباءٍ ؟ عَجَبًا لِماذا تَبْكينَ ؟»

وَدَخَلَتِ المُرَبِّيَةُ تَحْمِلُ سُلَّمًا مِنْ حِبالٍ وَقالَتْ : « لَقَدْ قُتِلَ تيبالْت . قَتَلَهُ روميو فَنُفِيَ مِنَ المَدينَةِ . لَهْفي عَلَيْكَ يا تيبالْت ؛ لَقَدْ كانَ أَخْلَصَ أَصْدِقائي .»

« زَوْجي حَيٌّ وَتيبالْت مَيْتٌ . قَدْ كانَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَقْتُلَ تيبالْت زَوْجي . وَلَكِنَّ روميو قَدْ نُفِيَ . إِنَّ تِلْكَ الكَلِمَةَ تَعْني المَوْتَ بِالنِّسْبَةِ لي .»

قالَتِ المُرَبِّيَةُ : « اِذْهَبي إِلى حُجْرَتِكِ ، وَسَأَذْهَبُ أَنا لأَجيءَ بِروميو لِيُخَفِّفَ عَنْكِ ، فَإِنّي أَعْرِفُ أَيْنَ هُوَ . إِنَّهُ مُخْتَبِئٌ في صَوْمَعَةِ الشَّيْخِ لورَنْس .»

« أَجَلْ ، اِذْهَبي وَحاوِلي العُثورَ عَلَيْهِ . أَعْطيهِ هَذا الخاتَمَ ، وَأَخْبِريهِ أَنْ يَأْتِيَ لِيُوَدِّعَني الوَداعَ الأَخيرَ .»

وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ كانَ الشَّيْخُ لورَنْس يُهَدِّئُ مِنْ رَوْعِ روميو ، وَيَقولُ لَهُ : « كانَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَحْكُمَ الأَميرُ بِإِعْدامِكَ وَلَكِنَّهُ أَمَرَ فَقَطْ بِأَنْ تُغادِرَ فيرونا . إِنَّ العالَمَ رَحْبٌ فَسيحٌ .»

« لَيْسَ لي مِنْ عالَمٍ إِلّا هُنا ، حَيْثُ توجَدُ جولييت .»

وَدَخَلَتِ المُرَبِّيَةُ تَقولُ : « إنّي آتِيَةٌ مِنْ عِنْدَ سَيِّدَتي جولييت . أَيْنَ روميو ؟»

سألَها روميو : « أخْبِريني كَيْفَ حالُها ؟»

« إنَّها لا تَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ ، وَلَكِنَّها لا تَكُفُّ عَنِ البُكاءِ .»

وَلَمْ يَقْوَ روميو عَلى أنْ يَسْمَعَ أَكْثَرَ مِنْ هَذا ، فَهَمَّ أنْ يُصَوِّبَ خِنْجَرَهُ الماضِيَ إلى قَلْبِهِ وَلَكِنَّ الشَّيْخَ مَنَعَهُ قائِلاً : « أ أَنْتَ رَجُلٌ ؟ إنَّ دُموعَكَ دُموعُ امْرَأةٍ ، وَأعْمالَكَ أعْمالُ حَيَوانٍ .

« لَئِنْ قَتَلْتَ نَفْسَكَ فَسَتَقْتُلُ زَوْجَتَكَ ؛ فَهِيَ إنَّما لا تَحْيا لِشَيْءٍ إلّا لأنَّكَ حَيٌّ . اِذْهَبي أيَّتُها المُرَبِّيَةُ إلى سَيِّدَتِكِ وَأخْبِريها أنَّ روميو قادِمٌ إلَيْها .»

قالَ روميو : « نَعَمْ ، اِفْعَلي هَذا .»

قالَتِ المُرَبِّيَةُ : « هاكَ ، يا سَيِّدي ، الخاتَمَ الَّذي طَلَبْتَ أنْ أعْطِيَكَ إيّاهُ .»

وَحينَ جَنَّ اللَّيْلُ تَسَلَّقَ روميو السُّلَّمَ إلى حُجْرَةِ جولييت ، وَكانَتْ لَيْلَةً غَريبَةً لِعَروسَيْنِ يَوْمَ عَقْدِ قِرانِهِما . لَقَدْ كانا سَعيدَيْنِ بِقَدْرِ ما كانا خائِفَيْنِ . وَقَبْلَ بُزوغِ الفَجْرِ كانَ عَلى روميو أنْ يَرْحَلَ .

سَأَلَتْهُ جولييت : « أ يَجِبُ أَنْ تَذْهَبَ الآنَ ؟ إنَّ النَّهارَ لَمْ يَطْلُعْ بَعْدُ .»

أجابَها رومْيو : « أُنْظُري ، يا حَبيبَتي . إنَّ الضَّوْءَ يَلْمَعُ مِنْ خِلالِ السُّحُبِ في المَشْرِقِ ، وَأَخَذَتِ النُّجومُ تَغورُ ، وَها هُوَ ذا النَّهارُ يَقِفُ مُنْتَظِراً عَلى قِمَمِ الجِبالِ . عَلَيَّ إمّا أنْ أَذْهَبَ وَأَعيشَ أَوْ أَبْقى وَأَموتَ .»

قالَتْ جولييت : « فَلْتَذْهَبِ الآنَ .»

* * * *

كانَ كابْيولت وَزَوْجَتُهُ يُخَطِّطانِ لِتَزْويجِ جولييت بِباريس ؛ فَجاءَتْ أُمُّها إلى حُجْرَتِها وَقالَتْ : « أيْ بُنَيَّتي ، في الصَّباحِ الباكِرِ مِنْ يَوْمِ الخَميس القادِمِ سَيَتَّخِذُكِ الكونْت باريس زَوْجَةً لَهُ .»

صاحَتْ جولْييت : « لَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَداً . أَهْوَنُ عَلَيَّ أَنْ أَتَزَوَّجَ بِرومْيو الَّذي أَعْرِفُ أَنَّكُمْ تَكْرَهونَهُ .»

« ها هُو ذا أبوكِ قادِمٌ . أَخْبِريهِ أَنْتِ بِنَفْسِكِ .» وَدَخَلَ كابْيولت وَالمُرَبِّيَةُ الحُجْرَةَ وَقالَ : « ما هَذا ؟ أ لا تَزالينَ تَبْكينَ ؟ أ وَ لَمْ تُخْبِريها بِقَرارِنا ؟»

أجابَتْهُ زَوْجَتُهُ : « بَلى ، يا سَيِّدي ، لَقَدْ أَخْبَرْتُها وَهِيَ تَشْكُرُكَ ،

وَلكِنَّها لَنْ تُطيعَ .»

« لا أَفْهَمُ ما تَقولينَ . أ لَسْنا جَديرينَ بِشُكْرِها ؟ ألا تَشْعُرُ بِالزَّهْوِ وَالفَخارِ ؟ أ وَ لَمْ تُدْرِكْ أَنَّها مَحْظوظَةٌ لأَنَّنا وَجَدْنا سَيِّداً مُمْتازاً كَهَذا لِيَكونَ زَوْجاً لَها ؟»

قالَتْ جولييت : « لا يُمْكِنُني أَنْ أَزْهُوَ بِما أَكْرَهُ .»

« في يَوْمِ الخَميسِ القادِمِ سَوْفَ تَتَزَوَّجينَ باريس ، وَإلّا فَلا تَنْظُري في وَجْهي أَبَداً وَلا تَدْخُلي بَيْتي . أمامَكِ الشَّوارِعُ تَتَلَطَّمينَ وَتَتَسَوَّلينَ وَتَموتينَ فيها .»

قالَ هَذا وَخَرَجَ . أَمّا جولييت فَقالَتْ : « هَلِ انْعَدَمَتِ الرَّحْمَةُ يا أُمّي الحَبيبَةَ ؟ فَلْتُؤَجِّلوا هَذا الزَّواجَ شَهْراً أَوْ أُسْبوعاً .»

« لا تُخاطِبيني ؛ فَلَنْ أَقولَ كَلِمَةً واحِدَةً .»

وَذَهَبَتْ جولييت إلى صَوْمَعَةِ الشَّيْخِ لورَنْس ، وكانَتْ تَقولُ لِنَفْسِها : « إذا لَمْ يَكُنْ في اسْتِطاعَتِهِ مُساعَدَتي ، فَإِنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أَضَعَ نِهايَةً لِحَياتي .»

* * * *

كانَ باريس في صَوْمَعَةِ الشَّيْخِ لورَنْس لِيَقومَ بِالتَّرْتيباتِ اللّازِمَةِ

لِزَواجِهِ بِجولييت .

قالَ الشَّيْخُ لورَنْس : « يَوْمَ الخَميسِ ؟ إنَّ الفَتْرَةَ قَصيرةٌ جِدًّا .»

« إنَّها رَغْبَةُ كابِيولِت وَرَغْبَتي أنا أيْضاً ؛ فَهِيَ تَبْكي كَثيراً لِمَوْتِ تيبالْت ، وَ والِدُها يَرْغَبُ في الإسْراعِ بِزَواجِنا لِيُكَفْكِفَ دُموعَها . وَالآنَ ها قَدْ عَرَفْتَ سَبَبَ هَذِهِ العَجَلَةِ .»

قالَ الشَّيْخُ في نَفْسِهِ : « لَيْتَني ما عَرَفْتُ السَّبَبَ الَّذي مِنْ أجْلِهِ يَجِبُ أنْ يُؤَجَّلَ هَذا الزَّواجُ ، بَلْ ألا يَتِمَّ أصْلاً . أنْظُرْ ، يا سَيِّدي ، إنَّها في طَريقِها إلَيْنا .»

قالَ باريس : « سَيِّدَتي وَزَوْجَتي .»

« لَسْتُ زَوْجَتَكَ بَعْدُ .»

« سَوْفَ تُصْبِحينَ زَوْجَتي يَوْمَ الخَميسِ . وَحَتّى ذَلِكَ الحينِ إلى اللِّقاءِ .»

وَخَرَجَ تارِكًا إيّاها وَحيدَةً مَعَ الشَّيْخِ ، فَصاحَتْ بِهِ : « أغْلِقِ البابَ ، ثُمَّ تَعالَ وَابْكِ مَعي . لَقَدْ فَقَدْتُ الأمَلَ وَالعَوْنَ . إنَّني أفَضِّلُ المَوْتَ إذا لَمْ تُوَفِّقْ إلى خُطَّةٍ لِمُساعَدَتي .»

« مَهْلاً ، يا ابْنَتي . إنّي أرى بَصيصاً مِنْ أمَلٍ . إذا كُنْتِ

تَشْعُرينَ أنَّهُ في قُدْرَتِكِ أنْ تَقْتُلي نَفْسَكِ لِكَيْ لا تَتزَوَّجي باريس ، إذاً فَقَدْ لا يُخيفُكِ أنْ تَظْهَري وكَأنَّكِ مَيِّتَةٌ لِفَتْرَةٍ قَصيرَةٍ .»

« أسْتَطيعُ أنْ أقومَ بِأيِّ شَيْءٍ يُبقي عَلى إخْلاصي لِحَبيبي .»

« إذاً ، فَلْتَذْهَبي إلى البَيْتِ وَأخْبِريهِمْ أنَّكِ سَتَتَزَوَّجينَ باريس . إنَّ غَداً هُوَ الأرْبعاءُ . تَأكَّدي مِنْ أنَّكِ سَتَنامينَ وَحْدَكِ لَيْلَةَ الغَدِ . يَجِبُ ألا تَكونَ مُرَبِّيَتُكِ مَعَكِ . وَحينَ تَأوينَ إلى فِراشِكِ اشْرَبي هَذا ، وَسَوْفَ يَسْري في جِسْمِكِ شُعورٌ بارِدٌ ناعِسٌ . سَوْفَ تَبْدينَ مَيِّتَةً تَماماً ، وَسَوْفَ تَظَلّينَ عَلى هَذِهِ الحالِ مُدَّةَ اثْنَتَيْنِ وَأرْبَعينَ ساعَةً . وَبَعْدَ هَذا سَوْفَ تَسْتَيْقِظينَ بِسُهولَةٍ تامَّةٍ . وَحينَ يَأتي باريس لِيَصْحَبَكِ فَسَتَبْدينَ لَهُمْ وَكَأنَّ الحَياةَ فارَقَتْكِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ سَوْفَ يَحْمِلونَكِ إلى مَقْبَرَةِ العائِلَةِ . أمّا أنا فَسَأرْسِلُ خِطاباً إلى رومْيو . وَسَأكونُ مَعَهُ هُناكَ عِنْدَما تَسْتَيْقِظينَ ، وَحينَئِذٍ سَوْفَ نَأخُذُكِ إلى مانتوا . هَلْ لَدَيْكِ مِنَ الشَّجاعَةِ ما يُمَكِّنُكِ مِنْ أنْ تَفْعَلي هَذا ؟»

قالَتْ جولييت : « أعْطِني هَذا الشَّرابَ وَلا تَتَكَلَّمْ عَنِ الخَوْفِ .»

قالَ الشَّيْخُ : « سَأرْسِلُ الشَّيْخَ جون إلى رومْيو في الحالِ .»

وَعادَتْ جولييت إلى البَيْتِ ، وَفي اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ تَناوَلَتِ الشَّرابَ

وَاسْتَلْقَتْ عَلى سَريرِها .

* * * *

كانَتْ الاسْتِعْداداتُ تَجْري عَلى قَدَمٍ وَساقٍ لِهَذا الزَّواجِ . وَفي صَباحِ الخَميسِ جاءَتْ مُرَبِّيَةُ جولييت لِتوقِظَها ، فَأَخَذَتْ تُناديها ، ثُمَّ أَخَذَتْ تَهُزُّها .

« سَيِّدَتي ! سَيِّدَتي ! وا مُصيبَتاهُ ! النَّجْدَةَ ! النَّجْدَةَ ! لَقَدْ ماتَتْ سَيِّدَتي .»

وَعَلى أَثَرِ صَيْحاتِها هُرِعَ والِدا جولييت إِلى حُجْرَتِها . وَكانَ پاريس مَعَهُما وَكَذَلِكَ الشَّيْخُ لورَنْس ؛ الَّذي أَخَذَ يُعَزِّيهِمْ :

« إِنَّ السَّماءَ لَها نَصيبٌ فيها وَلَكُمْ نَصيبٌ ، وَلَمْ يَكُنْ في اسْتِطاعَتِكُمْ أَنْ تَصُدّوا غائِلَةَ المَوْتِ عَنْ نَصيبِكُمْ . وَالآنَ قَدِ اسْتَرَدَّتِ السَّماءُ وَديعَتَها ، وَهِيَ الآنَ فَوْقَ السَّحابِ ، في السَّماءِ ذاتِها . فَلْتُكَفْكِفوا دُموعَكُمْ وَلْتَأْخُذوها إِلى القَبْرِ .»

قالَ كاپْيولِت : « إِنَّ هَذِهِ الأَزْهارَ الَّتي أُعِدَّتْ لِتُقَدَّمَ إِلَيْها في زِفافِها سَتَصْحَبُها إِلى قَبْرِها .»

وَهَكَذا حُمِلَتْ جولييت إِلى مَقْبَرَةِ آلِ كاپْيولِت .

* * * *

وَبَيْنَما كانَ رومْيو بَعيداً في مانتوا إذا بِهِ يَرى خادِمَهُ بلثاسر قادِماً نَحْوَهُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ جولييت وَعَنْ صِحَّتِها فَأَجابَهُ : « إنَّ جِسْمَها يَرْقُدُ في مَقْبَرَةِ آلِ كابْيولت ، أمَّا هِيَ فَتَعيشُ الآنَ في السَّماءِ .»

صاحَ رومْيو : « إليَّ بِجِيادٍ . لا بُدَّ لي مِنْ أنْ أرْحَلَ مِنْ هُنا اللَّيْلَةَ .»

وَساوَرَتْ بلثاسر المَخاوِفُ مِمَّا كانَ سَيِّدُهُ مُقْدِماً عَلَيْهِ .

« أ لَمْ يُرْسِلْ مَعَكَ الشَّيْخُ لورَنْس خِطاباتٍ لي ؟»

« لا .»

« هَذا لا يُهِمُّ . اِذْهَبْ وَائتِني بِتِلْكَ الجِيادِ .»

كانَ كُلُّ ما يَتَمَنَّاهُ رومْيو آنَذاكَ هُوَ أنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ وَهُوَ إلى جانِبِ جولييت في قَبْرِها ؛ فَذَهَبَ إلى بائِعِ عَقاقيرَ يَبيعُ أدْوِيَةً لِمُعالَجَةِ الأمْراضِ . وَلَكِنَّهُ كانَ فَقيراً إلى دَرَجَةٍ جَعَلَتْهُ يَبيعُ السُّمَّ لِمَنْ يُريدُ أنْ يَضَعَ حَدًّا لِحَياتِهِ . وَكانَ بَيْعُ السُّمِّ جَريمَةً عُقوبَتُها الإعْدامُ .

وَبَعْدَ أنْ أخَذَ رومْيو السُّمَّ مِنَ البائِعِ قالَ لَهُ : « خذ ذَهَبي هَذا وَاشْتَرِ طَعاماً تُسَمِّنُ بِهِ نَفْسَكَ .»

* * * *

وَعادَ الشَّيْخُ جون إلى لورَنْس فَقالَ لَهُ لورَنْس : « مَرْحَباً بِكَ ماذا يَقولُ روميو ؟»

« كانَ هُناكَ مَرَضٌ فَتّاكٌ في ڤيرونا ، وَفي المَنْزِلِ الَّذي نَزَلْتُ بِهِ . وَأَوْصَدَتِ الشُّرْطَةُ أَبْوابَ المَنْزِلِ وَلَمْ يَسْمَحوا لأيِّ إِنْسانٍ بِالخُروجِ مِنْهُ . وَهَكَذا لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُرْسِلَ الخِطابَ أَوْ أَجِدَ مَنْ يُعيدُهُ إِلَيْكَ . ها هُوَ ذا الخِطابُ .»

قالَ لورَنْس : « يا لَهُ مِنْ أَمْرٍ مُرَوِّعٍ ! أَسْرِعْ وَائْتِني بِقَضيبٍ مِنْ حَديدٍ .»

وَأَخَذَ لورَنْس يُفَكِّرُ : « سَوْفَ تُفيقُ جولييت في غُضون ثَلاثِ ساعاتٍ . عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ ثانِيَةً إِلى مانتوا ، وَلا بُدَّ لي مِنْ أَنْ أَفْتَحَ القَبْرَ وَأُخَبِّئَها في صَوْمَعَتي إِلى أَنْ يَجيءَ روميو .»

وَكانَ باريس هُوَ الآخَرُ يَأْخُذُ سَبيلَهُ إِلى قَبْرِ جولييت لِيَضَعَ إِكْليلاً مِنَ الأَزْهارِ عَلَيْهِ ، في حين كانَ خادِمُهُ يَنْتَظِرُهُ بَعيداً . وَلَمّا بَلَغَ القَبْرَ رَأى روميو ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُ .

أَمّا روميو فَقَدْ أَعْطى خادِمَهُ خِطاباً إِلى والِدِهِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ شُعْلَتَهُ الَّتي كانَ يَحْمِلُها وَأَشْياءَ لِيَفْتَحَ بِها القَبْرَ ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالانْصِرافِ . وَلَكِنَّ بلثاسر قالَ في نَفْسِهِ : « سَوْفَ أَخْتَبِئُ في مَكانٍ قَريبٍ ؛ فَشَأْنُهُ

يَبْدو غَريباً ، وَلا أعْرِفُ ما هُوَ مُقْدِمٌ عَلَيْهِ .»

وَفَتَحَ روميو القَبْرَ عَنْوَةً ، وَسَمِعَ باريس صَوْتَ فَتْحِ المَقْبَرَةِ فَصاحَ : « إنَّهُ روميو . لَقَدْ جاءَ لِيُسيءَ إلى جُثَثِ المَوْتى . روميو ، أَيُّها الوَحْشُ ! لَقَدْ وَقَعْتَ في قَبْضَتي وَلا بُدَّ مِنْ مَوْتِكَ .»

قالَ روميو : « أجَلْ ، لا بُدَّ مِنْ مَوْتي ؛ وَلِهَذا أتَيْتُ إلى هُنا . إلَيْكَ عَنّي . اِذْهَبْ وَقُلْ لِلنّاسِ إنَّ مَجْنوناً ، رَحْمَةً مِنْهُ ، تَرَكَكَ تَذْهَبُ إلى سَبيلِكَ .»

وَلَكِنَّ باريس أرْغَمَ روميو عَلى مُنازَلَتِهِ ، وَسَمِعَ خادِمُ باريس كُلَّ هَذا فَأسْرَعَ لِيُنادِيَ الضُّبّاطَ القائِمينَ عَلى الحِراسَةِ أثْناءَ اللَّيْلِ . وَسَرْعانَ ما خَرَّ باريس صَريعاً ، وَهُوَ يَقولُ : « لَقَدْ قُتِلْتُ ! اِفْتَحوا المَقْبَرَةَ ! أوْسِدوني بِجِوارِ جولييت .»

وَبَعْدَ أنْ أفاقَ روميو لِنَفْسِهِ أدْرَكَ مَنْ هُوَ الَّذي قَتَلَهُ ، ثُمَّ قامَ بِنَقْلِ جُثَّةِ باريس إلى جِوارِ جولييت .

قالَ روميو وَهُوَ يَتَطَلَّعُ إلى جولييت : « أيْ حَبيبَتي جولييت ، إنَّكِ لا تَزالينَ عَلى هَذا الجَمالِ . هَلْ يَحْتَفِظُ بِكِ المَوْتُ هُنا لِتَكوني حَبيبَتَهُ ؟ أيا ناظِرَتَيَّ ، فَلْتُلْقِيا عَلَيْها النَّظْرَةَ الأخيرَةَ ، وَلْتَضُمَّها ذِراعايَ لآخِرِ مَرَّةٍ . هَذِهِ تَحِيَّتي لِحَبيبَتي .» وَتَجَرَّعَ السُّمَّ الَّذي

أعْطاهُ لَهُ بائِعُ العَقاقيرِ .

كانَ الشَّيْخُ لورَنْس يَرْكُضُ بِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ عَلى الأَرْضِ الوَعْرَةِ وَهُوَ يَرى الضَّوْءَ يَنْبَعِثُ مِنَ القَبْرِ ، وَرَأى بَلْثاسر الَّذي قالَ لَهُ :

« إنَّ سَيِّدي روميْو كانَ في القَبْرِ لِمُدَّةِ نِصْفِ ساعَةٍ .»

وَكانَ هَذا خَبَراً مُرَوِّعاً لِلشَّيْخِ ، فَدَخَلَ وَحْدَهُ إلى القَبْرِ وَرَأى جُثَّتَيْ كُلٍّ مِنْ روميْو وَباريس . وَعِنْدَئِذٍ اسْتَيْقَظَتْ جولييت وَسَأَلَتْ : « أَيْنَ روميْو ؟»

أجابَها : « سَيِّدَتي ، هَيا بِنا مِنْ مَكانِ المَوْتِ . إنَّ هُناكَ قُوَّةً أَقْوى مِنْ قُوَّتِنا عَصَفَتْ بِكُلِّ خُطَطِنا . هَيَّا ، هَيَّا بِنا ! إنَّ زَوْجَكِ يَرْقُدُ مَيْتاً وَكَذَلِكَ باريس . سَآخُذُكِ إلى مَكانٍ آمِنٍ .»

« اِذْهَبْ ، اِنْصَرِفْ مِنْ هُنا . أمَّا أنا فَلَنْ أَذْهَبَ .» فَتَرَكَها وَأَسْرَعَ إلى الخارِجِ .

وَتَطَلَّعَتْ هِيَ إلى روميْو : « ما هَذا الَّذي أرى ؟ قَدَحٌ في يَدِ حَبيبي ؟ سُمٌّ ؟ أيْ روميْو ! لَقَدْ شَرِبْتَهُ كُلَّهُ دونَ أنْ تَتْرُكَ لي قَطْرَةً واحِدَةً تُعينُني في طَريقي إلَيْكَ . سَأُقَبِّلُ شَفَتَيْكَ عَسى أنْ يَكونَ بَعْضُ السُّمِّ عالِقاً بِهِما .»



وَأَخَذَتْ تُقَبِّلُهُ . غَيْرَ أَنَّها سَمِعَتْ بَعْضَ الحُرّاسِ قادِمينَ إلى المَكانِ ، فَأَمْسَكَتْ بِخِنْجَرِ روميو وَدَفَعَتْ بِهِ إلى قَلْبِها .

وَسَرْعانَ ما تَجَمَّعَ النّاسُ ، وَ وُجِدَ بَلْثاسر مُخْتَبِئًا بِقُرْبِ المَكانِ الّذي ماتَ فيهِ سَيِّدُهُ . وَقُبِضَ عَلى الشَّيْخ يَبْكي وَهُوَ يُغادِرُ المَقابِرَ . وَحينَئِذٍ جاءَ الأميرُ إسكالوس وَقالَ : « ماذا حَدَثَ ؟ وَلِماذا اسْتُدْعيتُ هكَذا مُبَكِّرًا ؟ »

وَكانَ كابيولِت وَزَوْجَتُهُ وَكَذَلِكَ مونْتاغيو قَدْ وَصَلوا ، فَقالَتْ زَوْجَةُ كابيولِت : « إنَّ بَعْضَ النّاس في الشّارِعِ يَصيحونَ : «روميو !» وَبَعْضاً آخَرَ يَصيحونَ : «جولييت !» وَبَعْضاً ثالِثاً «باريس» . إنَّ جَميعَهُمْ يَصيحونَ وَيُهْرَعونَ إلى مَقابِرِنا . »

حينَئِذٍ قالَ كَبيرُ الحُرّاسِ : « هُنا يَرْقُدُ الكونْت باريس قَتيلاً ، وَروميو مَيْتاً ، وَجولييت قَتَلَتْ نَفْسَها . »

أَمّا الحارِسُ فَقالَ : « ها هُوَ ذا الشَّيْخُ ، وَها هُوَ ذا خادِمُ روميو بلثاسر . »

قالَ مونْتاغيو : « لَقَدْ ماتَتْ زَوْجَتي اللَّيْلَةَ أَيُّها الأميرُ . يا لَهْفي عَلَيْها ! قَتَلَها حُزْنُها لِنَفْيِ ابْنِها . »

حينَئِذٍ التَفَتَ الأميرُ إلى الشَّيْخِ وَقالَ : « أَخْبِرْني أَيُّها الشَّيْخُ بِما

تَعْلَمُ عَنْ هَذا .»

وَفي كَلِماتٍ مُقْتَضَبَةٍ رَوى الشَّيْخُ أَحْداثَ المَأساةِ كُلَّها ، ثُمَّ خَتَمَ كَلامَهُ بِقَوْلِهِ : « إذا كُنْتُ مَسْئُولاً عَنْ أيٍّ مِنْ هَذِهِ الأحْداثِ فَلْتَدْفَعْ حَياتي الثَّمَنَ كامِلاً .»

وَلكِنَّ الأميرَ قالَ : « إنَّنا نَعْلَمُ أنَّكَ دائِماً رَجُلٌ تَقِيٌّ . أيْنَ خادِمُ رومْيو ؟ ماذا في اسْتِطاعَتِهِ أنْ يَقولَ ؟»

وَأخْبَرَهُ بَلْثاسر بِالأشْياءِ الَّتي يَعْرِفُها ، وَكَذَلِكَ خادِمُ باريس .

وَأخيراً قالَ الأميرُ وَقَدْ نالَ مِنْهُ الحُزْنُ : « أيْ كابيولت وَأنْتَ يا مونْتاغْيو ! وَالآنَ قَدْ رَأيْتُما ما حَدَثَ ؛ لأنَّ عائِلَتَيْكُما كانَتا تَكْرَهانِ الواحِدَةُ الأخْرى . وَبِسَبَبِ هَذهِ الكَراهِيَةِ فَقَدْتُ أنا اثْنَيْنِ مِنْ عائِلَتي .»

قالَ كابيولت مُوَجِّهاً حَديثَهُ لِمونْتاغْيو : « إنَّ زَواجَ ابْنَتي مِنَ ابْنِكَ رومْيو قَدْ رَبَطَ بَيْنَ عائِلَتَيْنا أخيراً . هاتِ يَدَكَ ، يا أخي مونْتاغْيو .»

« هاكَ يَدي ، وَلَكِنَّني فَوْقَ هَذا سَأُقيمُ هُنا في ڤيرونا تِمْثالاً لِجولييت مِنَ الذَّهَبِ الإبريزِ .»

أمّا الأميرُ فَقالَ : « إنَّ هَذا الصَّباحَ الغائِمَ القاتِمَ قَدْ جاءَ مَعَهُ بِالسَّلامِ ، وَإنْ يَكُنْ سَلاماً حَزيناً . »

ماكْبِث

كانَ دَنْكان مَلِكَ اسْكُتْلَنْدا ، وَكانَ ماكْبِث لورداً وَقائِداً مِنْ قُوّادِ الجَيْش ِالاسْكُتْلَنْدِيِّ ، وَكَذَلِكَ كانَ بانْكو لورداً وَقائِداً في الجَيْش ِ. وَكانَ ماكْبِث قَدِ انتَصَرَ لِتَوِّهِ في مَعْرَكَةٍ خاضَها ضِدَّ جَيْش ٍجاءَ مِنَ النُّرويج . وَفي طَريقِهِ لِلْعَوْدَةِ ، يَصْحَبُهُ بانْكو ، كانَ عَلَيْهِ أنْ يَجْتازَ قَفْراً وَسْطَ عاصِفَةٍ عاتِيَةٍ . وَفَجْأةً لَمَحا ثَلاثَ ساحِراتٍ يَلْتَفِفْنَ حَوْلَ نارٍ ؛ مِمّا اسْتَرْعَى انْتِباهَهُما فَوَقَفا .

سَأَلَ بانْكو : « مَنْ أَنْتُنَّ ؟ إنَّكُنَّ تُشْبِهْنَ النِّساءَ ، وَلَكِنْ لَكُنَّ لِحًى .»

قالَ ماكْبِث : « تَكَلَّمْنَ ! مَنْ أَنْتُنَّ ؟»

قالَتِ السّاحِرَةُ الأولى : « ماكْبِث ، يا لُورد غلاميس ، مرحباً .»

قالَتِ السّاحِرَةُ الثّانِيَةُ : « ماكْبِث ، يا لُورْد كودُر ، مرحباً .»

قالَتِ الثّالِثَةُ : « سَوْفَ تَصيرُ مَلِكاً .»

وَتَحَوَّلْنَ إلى بانْكو وَقالَتْ ثالِثَتُهُنَّ : « لَنْ تَصيرَ مَلِكاً ، وَلَكِنَّ أبْناءَكَ سَيُصْبِحونَ مُلوكاً .» وَ وَاصَلَ ماكْبِث وَ بانْكو سَيْرَهُما .

قالَ ماكْبِث : « أنا بِالفِعْلِ لورد غلاميس . وَلَكِنْ أنّى لي أنْ أصْبِحَ لورد كودُر ؟ فَلورد كودُر لا يَزالُ حَيّاً ، وَلَسْتُ أظُنُّ أنّي سَأصْبِحُ مَلِكاً . سَوْفَ يَصيرُ أبْناؤُكَ مُلوكاً ، يا بانْكو .»

قالَ بانْكو : « وَأنْتَ سَتُصْبِحُ مَلِكاً .» وَبَيْنَما هُما خائِضانِ في هَذا الحَديثِ ، إذا بِرَسولَيْنِ مِنَ المَلِكِ يَأتِيانِ وَيَقولانِ لِماكْبِث : « لَقَدْ قامَ لورد كودُر بِمَدِّ يَدِ المُساعَدَةِ لِلنُّرويجِيّين ، فَعَزَلَهُ المَلِكُ وَأقامَكَ والِياً عَلى كودُر بَدَلاً مِنْهُ .»

قالَ ماكْبِث لِبانْكو : « لورد غلاميس وَلورد كودُر ، وَلَكِنَّ أجَلَّ الأشْياءِ لَمْ يَتَحَقَّقْ بَعْدُ . أ تَأمُلُ في أنْ يُصْبِحَ أبْناؤُكَ مُلوكاً ؟»

« إذا كُنْتَ تُصَدِّقُ هَؤُلاءِ السّاحِراتِ فَقَدْ تُصْبِحُ مَلِكاً . أوْ لَعَلَّهُنَّ يَصْدُقْنَ في الأمورِ التّافِهَةِ فَقَطْ لِيَجْلِبْنَ عَلَيْنا الشَّقاءَ وَيَمْضينَ بِنا إلى حَتْفِنا !»

وَفي قَلْعَةِ ماكْبِث كانَتْ اللّيدي ماكْبِث تَقْرَأ خِطاباً وَصَلَها مِنْ زَوْجِها ، جاءَ فيهِ : « قالَتِ السّاحِراتُ : سَتُصْبِحُ مَلِكاً ...» وَلَكِنَّها



قالَتْ في نَفْسِها : « يُؤسِفُني أنَّ ماكْبِث عَطوفٌ وَدِيعٌ ، وَأنَّهُ رَضِعَ كَثِيراً مِنْ لَبَنِ العَطْفِ الإنْسَانِيِّ . فَهُنَاكَ أُمُورٌ يَجِبُ عَلَيْهِ أنْ يَقُومَ بِها ، غَيْرَ أنَّ الخَوْفَ يَمْنَعُهُ . وَلَكِنْ حِينَ يَجِيءُ سَأتَحَدَّثُ إلَيْهِ وَأَبُثُّ فِيه رُوحَ القُوَّةِ وَالشَّجاعَةِ وَالإقْدَامِ .»

وَسُرْعَانَ مَا جَاءَ مَاكْبِثُ هَذا وَإذَا بِهِ يَقُولُ : « عَزِيزَتي ، إنَّ المَلِكَ قَادِمٌ إلَيْنَا اللَّيْلَةَ .»

« وَمَتى سَيَذْهَبُ ؟»

« غَداً ، كَمَا يَقُولُ .»

« لا ! لَنْ يَذْهَبَ مِنْ هُنَا أَبَداً . إنَّ وَجْهَكَ ، يا ماكْبِث ، يُنْبِئُ عَنْ أفْكَارِكَ وَمَشَاعِرِكَ . يَجِبُ عَلَيْكَ أنْ تُخْفِيَهُما . دَعْ كُلَّ شَيْءٍ لي .»

* * * *

وَجَاءَ المَلِكُ دَنْكان هُوَ وَابْنَاهُ : مالْكوم وَدونالْبين . وَعِنْدَما فَرَغوا مِنْ تَناوُلِ العَشاءِ خَرَجَ ماكْبِث مِنْ بَهْوِ الطَّعامِ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ : « إذا كانَ لا بُدَّ لِهَذا الأمْرِ أنْ يَنْفُذَ فَلْيَنْفُذْ بِسُرْعَةٍ . وَلَكِنْ مَنْ يُدْرِيني أنَّ هَذا العَمَلَ الَّذي أفَكِّرُ فيهِ لَنْ يَنْقَلِبَ عَلَيَّ في النِّهايَةِ ؟ وَثَمَّةَ اعْتِبارٌ آخَرُ : إنَّ المَلِكَ دَنْكان ضَيْفي ، وَمِنْ واجِبي

أنْ أقومَ عَلى حِراسَتِهِ وَالذَّوْدِ عَنْهُ ضِدَّ كُلِّ مَنْ تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ أنْ يَقْتُلَهُ ، لا أنْ أقْتُلَهُ أنا بِنَفْسي . إنَّ دَنْكان مَلِكٌ صالِحٌ ، وَحينَ يَسْمَعُ الشَّعْبُ خَبَرَ مَوْتِهِ ، فَسَوْفَ يَبْكيهِ بُكاءً مُرًّا . لا ! إنَّ ما أخطِّطُ لَهُ هُوَ أمْرٌ جِدٌّ شَيْطانِيٌّ ؛ وَلَنْ أقْدِمَ عَلى اقْتِرافِهِ .»

وَحينَئِذٍ أقْبَلَتْ ليدي ماكْبِث مِنْ بَهْوِ الطَّعامِ فَقالَ لَها : « لَنْ أقْتُلَ المَلِكَ ؛ لَقَدْ شَمَلَني بِعَطْفِهِ في الآوِنَةِ الأخيرَة . وَالنّاسُ جَميعاً بِمُخْتَلِفِ طَبَقاتِهِمْ يَحْتَرِمونَني وَيُعْلونَ مِنْ قَدْري ؛ وَلِذَلِكَ لَنْ أخَيِّبَ ظَنَّهُمُ الحَسَنَ فِيَّ .»

وَغَضِبَتْ مِنْ زَوْجِها أشَدَّ الغَضَبِ وَقالَتْ لَهُ : « ما هَذا الَّذي أسْمَعُ ؟ وَفيمَ كُلُّ هَذا الخَوْفِ ؟ أتَخافُ مِنْ تَحْقيقِ ما تَصْبو إلَيْهِ نَفْسُكَ ؟»

« هَذا هُوَ النَّوْعُ الصَّوابُ مِنَ الخَوْفِ . إنّي أجْرُؤُ عَلى القِيامِ بِكُلِّ ما هُوَ خَليقٌ بِالرَّجُلِ أنْ يَفْعَلَ . وَكُلُّ رَجُلٍ يَفْعَلُ غَيْرَ ذَلِكَ لَيْسَ رَجُلاً ، بَلْ وَحْشٌ . وَهَبي أنَّنا فَشِلْنا فَماذا تَكونُ الحالُ ؟»

أجابَتِ اللَّيدي ماكْبِث : « نَحْنُ نَفْشَلُ ؟ لا !»

ثُمَّ أضافَتْ : « كُنْ شُجاعاً ، وَسَوْفَ يَكونُ كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ . إنَّ الجَميعَ سَيَظُنّونَ أنَّ خَدَمَهُ الَّذينَ كانوا مَعَهُ في غُرْفَةِ نَوْمِهِ

هُمُ الَّذينَ قاموا بِقَتْلِهِ . أمَّا أنا فَسَأَضَعُ في شَرابِهِمْ شَيْئًا يَجْعَلُهُمْ يَخْلُدونَ لِلنَّوْمِ ، ثُمَّ نُلَطِّخُهُمْ بِدِماءِ المَلِكِ .»

قالَ ماكْبِث : « قُضِيَ الأمْرُ ، وَسَنَقومُ بِتَنْفيذِ مَأْرَبِنا . وَلَكِنْ يَجِبُ أنْ تَرْتَسِمَ مَلامِحُ الطِّيبَةِ عَلى وُجوهِنا ؛ لِكَيْ لا يَتَعَرَّفَ أحَدٌ طَوِيَّتَنا .»

وَجاءَ المَلِكُ هُوَ وَابْناهُ مالْكوم وَدونالْبين . وَلَمّا كانَ المَلِكُ مُتْعَبًا مُجْهَدًا فَقَدْ أوى إلى فِراشِهِ مُبَكِّرًا .

وَفي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْتَقى بانْكو وَابْنَهُ فلينْس ماكْبِث في فِناءِ القَلْعَةِ فَقالَ لَهُ بانْكو : « إلَيْكَ جَوْهَرَةً جَميلَةً تَفَضَّلَ المَلِكُ بِإهْدائِها إلى زَوْجَتِكَ ، أمّا هُوَ فَقَدْ أوَى إلى فِراشِهِ .»

وَلَمّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ ، وَهُوَ الوَقْتُ الَّذي حَدَّدَتْهُ اللّيدي ماكْبِث لاغْتِيالِ المَلِكِ ، وَكانَتِ الخَمْرُ قَدْ قُدِّمَتْ لِلْخَدَمِ الَّذينَ أسْرَفوا في الشَّرابِ حَتّى ثَمِلوا وَلَمْ يَعودوا يَدْرونَ شَيْئًا - أخَذَتْ اللّيدي ماكْبِث خِنْجَرَها وَذَهَبَتْ إلى سَريرِ المَلِكِ ، فَوَجَدَتْهُ مُسْتَغْرِقًا في نَوْمِهِ بَعْدَ عَناءِ السَّفَرِ . وَلَكِنَّها رَأَتْ في وَجْهِهِ شَيْئًا جَعَلَها تَتَذَكَّرُ أباها ؛ فَلَمْ تَجِدْ في نَفْسِها الشَّجاعَةَ عَلى أنْ تُقْدِمَ ، فَعادَتْ إلى ماكْبِث .

قالَ ماكْبِث : « أ هَذا الَّذي أرى أمامي خِنْجَرٌ حَقًّا ؟ دَعيني



أمْسِكُ بِهِ بِيَدي .» ثُمَّ دَخَلَ الحُجْرَةَ وَطَعَنَ المَلِكَ بِخِنْجَرِهِ ، وَعادَ إلى زَوْجَتِهِ وَهُوَ يَقولُ : « وَيْلاهُ ! لَقَدْ جِئْتُ شَيْئاً نُكْراً .»

أمّا زَوْجَتُهُ فَكانَتْ هادِئَةً وَأخَذَتْ تُفَكِّرُ في سُرْعَةٍ وَجِدٍّ .

قالَتْ : « اِذْهَبْ وَاغْسِلْ يَدَيْكَ مِنْ هَذا الدَّمِ . لِماذا أحْضَرْتَ هَذِهِ الخَناجِرَ مِنْ مَكانِها ؟ يَجِبُ أنْ تَتْرُكَها هُناكَ . خُذْها وَعُدْ بِها ثُمَّ لَطِّخِ الخَدَمَ النّائِمينَ بِالدَّمِ .»

أجابَها : « لَنْ أعودَ إلى هُناكَ . إنّي أفْزَعُ حينَ أتَذَكَّرُ ما فَعَلْتُ . أنا لا أجْرُؤُ عَلى أنْ ألْقِيَ نَظْرَةً عَلى فَعْلَتي مَرَّةً أخْرى .»

قالَتْ اللّيدي ماكْبِث : « يا لَكَ مِنْ ضَعيفٍ خائِرٍ ! هاتِ الخَناجِرَ . إنَّ النّائِمينَ وَالمَوْتى ما هُمْ إلّا رُسومٌ وَصُوَرٌ . وَالأطْفالُ وَحْدَهُمْ هُمُ الّذينَ يَخافونَ مِنْ صورَةٍ مَرْسومَةٍ لِلشَّيْطانِ . سَألَطِّخُ الخَدَمَ بِالدِّماءِ ؛ لِيَبْدو أنَّهُمْ مُرْتَكِبي الجَريمَةِ .»

وَفَجْأةً بَعْدَ أنْ خَرَجَتْ دُقَّ البابُ ، وَسَمِعَ ماكْبِث الدَّقّاتِ تُدَوّي عالِياً فَقالَ لِنَفْسِهِ : « ما هَذا ؟ إنّني أفْزَعُ لِكُلِّ صَوْتٍ . وَيَدايَ ! تُرى هَلْ تَكْفي مِياهُ المُحيطاتِ كُلُّها لِغَسْلِ هاتَيْنِ اليَدَيْنِ وَتَطْهيرِهِما مِنْ هَذِهِ الدِّماءِ ؟»

وَلَمّا عادَتْ زَوْجَتُهُ قالَتْ لَهُ : « اُنْظُرْ ، ها هُما يَدايَ حَمْروانِ

كَيَدَيْكَ ، وَلكِنَّ وَجْهي لَيْسَ شاحِباً شُحوبَ وَجْهِكَ . عَلَيْكَ أَنْ تَلْبَسَ مَلابِسَ النَّوْمِ كَيْ لا يَعْرِفَ أَحَدٌ أَنَّنا كُنّا يَقْظانَيْنِ .»

* * * *

وَكانَ الطَّرْقُ لا يَزالُ مُسْتَمِرًّا فَفَتَحَ ماكْبِث البابَ ، فَإِذا ماكْدَف و لينوكْس ، وَهُما لوردان اسْكُتْلَنْدِيّانِ ، بِالبابِ ؛ فَسَأَلَهُ ماكْدَف : « هَل اسْتَيْقَظَ المَلِكُ ؟»

أجابَ ماكْبِث : « لا ، لَمْ يَسْتَيْقِظْ بَعْدُ . وَلكِنْ سَأَصْحَبُكَ إِلى حُجْرَتِهِ .»

وَدَخَلَ ماكْدَف إِلى حُجْرَةِ المَلِكِ . وَما هِيَ إِلّا لَحَظاتٌ حَتّى خَرَجَ بَعْدَها يَعْدو صارِخاً . وَقُرِعَ ناقوسُ القَلْعَةِ وَأَيْقَظَتْ صَيْحاتُ الغَضَبِ وَالخَوْفِ النّاسَ . وَخَرَجَ ابْنا المَلِكِ ، مالْكوم وَدونالْبين مِنْ حُجْرَتَيْهِما يَتَساءَلانِ : « ما الخَبَرُ ؟» فَقالَ لَهُما ماكْدَف : « إِنَّ أَباكُمُ ، المَلِكَ ، قَدْ ماتَ . يَبْدو أَنَّ خَدَمَهُ قَتَلوهُ ؛ لأَنَّهُمْ مُلَطَّخونَ بِالدِّماءِ .»

وَحينَ دَخَلَ بانْكو صاحَ بِهِ ماكْدَف : « أَوّاهُ يا بانْكو ! لَقَدْ قُتِلَ مَليكُنا .»

فَقالَ بانْكو : « هَيّا بِنا نَجْتَمِعُ وَنَتَدارَسُ الأَمْرَ . يا لَها مِنْ جَريمَةٍ

دامِيَةٍ ! ماذا يَعْني عَمَلٌ كَهَذا ؟»

و وافَقَ الجَميعُ عَلى رَأيِهِ ، غَيْرَ أنَّ الخَوْفَ كانَ قَدْ تَمَلَّكَ مِنْ قَلْبي ابْنَي المَلِكِ ، وَأصبَحا لا يَثِقانِ بِأحَدٍ مِنَ النّاسِ .

قالَ مالْكوم : « سَوْفَ أذْهَبُ إلى إنجلْترا . لَسْتُ أرى هُنا إلّا مَنْ يَتَظاهَرُ بِالأسَفِ لِوَفاةِ والِدِنا .»

وَقالَ أخوهُ دونالْبين : « أمّا أنا فَسَأذْهَبُ إلى أيرلندا ؛ فَإنّا سَنُصْبِحُ أكْثَرَ أمْنًا إذا ما كُنّا بَعيدَيْنِ عَنْ بَعْضِنا .»

وَمُنْذُ ذَلِكَ الحين بَدَأ عَهْدٌ أخَذَتْ تَتَتابَعُ فيهِ أحْداثٌ غَريبَةٌ مُفْزِعَةٌ شَمِلَتْ أرْجاءَ اسْكتلندا كُلَّها ، وَسَيْطَرَ الخَوْفُ الشَّديدُ عَلى الجَميعِ ؛ فَلَمْ يَجْرُؤ النّاسُ عَلى المُجاهَرَةِ بِأفْكارِهِمْ وَمَشاعِرِهِمْ .

* * * *

أمّا بانْكو فَلَمْ يَعُدْ يَثِقُ بِماكْبِث وَأخَذَ يَقولُ في نَفْسِهِ : « لَقَدْ حَصَلَ ماكْبِث الآنَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ ، فَمَوْتُ دَنْكان جَعَلَهُ مَلِكًا – مَلِكًا عَلى كودُر ، وَغلاميس ... كُلُّ شَيْءٍ تَحَقَّقَ كَما قالَتِ السّاحِراتُ . أخْشى أنْ يَكونَ قَدْ لَجَأ إلى ارْتِكابِ أعْمالٍ شَنيعَةٍ حَتّى يَحْصُلَ عَلى هَذا كُلِّهِ .

« وَلَكِنَّهُنَّ وَعَدْنَني شَيْئًا أنا أيْضًا : أنّي سَأكونُ أبًا لِمُلوكٍ

عَديدينَ . أ لَيْسَ لي أنْ آمُلَ أنْ يَتَحقَّقَ هَذا الأمْرُ ؟»

وَقَرَّرَ ماكْبِث وَزَوْجَتُهُ أنْ يُقيما حَفْلاً ذاتَ مَساءٍ . وَحينَ الْتَقى ماكْبِث وَبانْكو دَعاهُ إلى حُضورِهِ ، فَقالَ بانْكو : « إنَّني سَأقومُ أنا وَفلينْس بِرِحْلَةٍ إلى مَكانٍ قَريبٍ عَصْرَ ذَلِكَ اليَوْمِ ، وَلَكِنَّنا سَنَعودُ في الوَقْتِ المُلائِمِ لِحُضورِ الحَفْلِ .»

قالَ ماكْبِث : « حَسَنًا » ثُمَّ أضافَ : « لَقَدْ سَمِعْتُ أنَّ ابْنَيْ دَنْكان يَنْشُرانِ الأكاذيبَ في إنْجلترا وَأيرلندا عَنْ هُوِيَّةِ قاتِلِ أبيهِما .»

وَلَمّا خَرَجَ بانْكو بَعَثَ ماكْبِث بِخادِمٍ لِيَجيءَ بِرَجُلَيْنِ كانا يَنْتَظِرانِ خارِجًا عِنْدَ بابِ القَصْرِ . وَأخَذَ ماكْبِث يَقولُ لِنَفْسِهِ : « إنْ كانَ أبْناءُ بانْكو سَيَصيرونَ مُلوكًا فَإنّي قَدْ قُمْتُ بِهَذا العَمَلِ الشَّنيعِ لِصالِحِ بانْكو وَأبْنائِهِ وَلَيْسَ لِصالِحي أنا . لا بُدَّ مِنْ مَوْتِهِ ، وَلا بُدَّ أنْ يَموتَ ابْنُهُ فلينْس كَذَلِكَ .»

وَبَعْدَ قَليلٍ جاءَ الرَّجُلانِ ، وَكانا مِنَ القَتَلَةِ السَّفّاحينَ فَقالَ لَهُما ماكْبِث : « إنَّ كُلَّ ما أصابَكُما مِنْ ضَرٍّ في الآوِنَةِ الأخيرَةِ كانَ مِنْ فِعْلِ بانْكو ، وَلَقَدْ أخْبَرْتُكُما بِهَذا مِنْ قَبْلُ . يَجِبُ عَلَيْكُما أنْ تَقْتُلاهُ .»

أجاباهُ : « نَحْنُ رِجالٌ . إِنَّهُ عَدُوُّنا ، وَلَنْ نَعْبَأَ بِما سَيَحْدُثُ لَنا في سَبيلِ أَنْ نَقْضِيَ عَلَيْهِ . »

قالَ ماكْبِث : « سَوْفَ أَدُلُّكُما عَلى المَكانِ الَّذي تَكْمُنانِ فيهِ حَتّى يَقَعَ هُوَ وَابْنُهُ في أَيْديكُما . »

وَبَيْنَما كانَ ماكْبِث وَزَوْجَتُهُ يَتَحادَثانِ مَعاً في القَصْرِ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ الحَفْلُ ، قالَتْ اللَّيدي ماكْبِث : « ما بالُكَ تُكْثِرُ مِنَ البَقاءِ وَحيداً مُسْتَسْلِماً لأَفْكارِكَ الحَزينَةِ ؟ ما حَدَثَ قَدْ حَدَثَ . »

قالَ ماكْبِث : « إِنَّ الخَطَرَ لا يَزالُ مُحْدِقاً بِنا ، وَنَحْنُ نَحْلُمُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَحْلاماً مُزْعِجَةً مُريعَةً . خَيْرٌ لي أَنْ أَكونَ مَعَ المَوْتى في سَلام وَسَكينَةٍ مِنْ أَنْ أَشْعُرَ بِهَذا الخَوْفِ الَّذي أَشْعُرُ بِهِ . إِنَّ دَنْكان الآنَ في قَبْرِهِ . بَعْدَ كُلِّ المَتاعِبِ الَّتي تَجْلُبُها الحَياةُ عَلى الإِنْسانِ فَإِنَّهُ يَرْقُدُ في هُدوءٍ . بَعْدَ كُلِّ مِحَنِها يَخْلُدُ إِلى نَوْمٍ عَميقٍ . »

أَجابَتْهُ زَوْجَتُهُ : « لا تَدَعْ أَحَداً يَشْعُرُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَيْسَ عَلى ما يُرامُ بِالنِّسْبَةِ لَكَ . عَلَيْكَ أَنْ تَبْدوَ سَعيداً أَمامَ كُلِّ المَدْعُوّينَ . »

قالَ ماكْبِث : « وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَجُنَّ اللَّيْلُ سَيَقَعُ حادِثٌ لَهُ خَطَرُهُ لَنْ أُخْبِرَكِ بِهِ الآنَ ، وَحينَ تَعْرِفينَهُ سَتَقولينَ : « أَحْسَنْتَ صُنْعاً ! » »

وَلَكِنَّ خُطَّةَ ماكْبِث الَّتي قامَ عَلى تَنْفيذِها هَذانِ القاتِلانِ لَمْ يَتَحَقَّقْ مِنْها إلّا النِّصْفُ ؛ فَقَدْ قَتَلا بانْكو ، وَلَكِنَّ فلينس فَرَّ هارِبًا في أمانٍ .

وَحَلَّ مَوْعِدُ العَشاءِ ، وَبَيْنَما كانَ المَدْعُوّونَ وَالمَدْعُوّاتُ يَأْخُذونَ أماكِنَهُمْ جاءَ مَنْ يُخْبِرُ ماكْبِث بِأَنَّ فلينس لا يَزالُ حَيًّا ، فَقالَ ماكْبِث : « الآنْ تَنْتابُني المَخاوِفُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ .» ثُمَّ فارَقَ الجَمْعَ وَانْتَبَذَ مَكانًا ، وَراحَ في تَفكيرٍ عَميقٍ . وَخَشَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ أَنْ يُلاحِظَ النّاسُ في البَهْوِ سُلوكَ ماكْبِث الغَريبَ فَقالَتْ لَهُ : « اِجْلِسْ في مَقْعَدِكَ وَاسْعَدْ بِلِقاءِ أَصْدِقائِكَ .»

وَفي هُدوءٍ جَلَسَ شَبَحُ بانْكو المُلَطَّخُ بالدَّمِ في المَقْعَدِ الخالي الوَحيدِ . وَقالَ روس ، أَحَدُ اللّورداتِ ، لِماكْبِث : « أَ لَنْ تَجْلِسَ مَعَنا ؟ هَا هُنا مَقْعَدٌ خالٍ .»

وَتَطَلَّعَ ماكْبِث فَإِذا بِهِ يَرى شَبَحَ بانْكو ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ في اسْتِطاعَةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ أَنْ يَراهُ ، فَأَجابَ ماكْبِث : « إِنَّ المائِدَةَ كامِلَةٌ . مَنْ مِنْكُمْ فَعَلَ هَذا ؟»

وَابْيَضَّ وَجْهُهُ مِنَ الخَوْفِ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَفْهَمَ ماذا يَعْني. وَصاحَ بِشَبَحِ بانْكو : « لا يُمْكِنُكَ أَنْ تَقولَ إِنَّني قُمْتُ بِهَذا

العَمَلِ . لا تَنْفُضْ شَعْرَكَ الدّامِيَ عَلَيَّ .»

أمّا اللّيدي ماكْبِث فَقالَتْ : « كَثيراً ما يَكونُ مَوْلايَ عَلى هَذِهِ الحالِ . لا تُلْقوا بالاً لَهُ ؛ فَسَيَعودُ إلى حالَتِهِ الطَّبيعِيَّةِ سَريعاً .» وَأَخَذَتْ تَتَحَدَّثُ هِيَ وَزَوْجُها بِصَوْتٍ خَفيض عَمّا رَأى ، فَغضِبَتْ مِنْهُ وَقالَتْ : « لَيْسَ أمامَكَ إلّا مَقْعَدٌ خالٍ .»

وَلَكِنَّ الشَّبَحَ عاوَدَ الظُّهورَ لِماكْبِث . وَفي هَذِهِ المَرَّةِ أصيبَ ماكْبِث بِنَوْبَةٍ مِنَ الجُنونِ ، وَأَسْقِطَ في يَدِ زَوْجَتِهِ وَلَمْ تَعُدْ تَسْتَطيعُ شَيْئاً . فَأَمَرَتِ الجَميعَ أنْ يُغادِروا المَكانَ بِأَسْرَعِ ما يَسْتَطيعونَ دونَ الالْتِزامِ بِالخُروجِ وَفْقاً لِلألْقابِ وَالمَناصِبِ .

أمّا ماكْبِث فَقالَ : « سَوْفَ تَسيلُ دِماءٌ . إنَّ الدَّمَ يَجْلِبُ الدَّمَ . يَجِبُ عَلَيَّ أنْ أذْهَبَ غَداً لِمُقابَلَةِ السّاحِراتِ الثَّلاثِ . لا بُدَّ أنْ أعْرِفَ الخَطَأَ .»

قالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ : « إنَّكَ في حاجَةٍ إلى النَّوْمِ .»

« أجَلْ ، هَيّا بِنا .»

* * * *

وَفي المَكانِ القَفْرِ نَفْسِهِ ، حَيْثُ قابَلَهُنَّ أوَّلَ مَرَّةٍ ، كانَتِ السّاحِراتُ الثَّلاثُ يُغَنّينَ أغْنِياتٍ غَريبَةً ، وَيُلْقينَ بِأشْياءَ في قِدْرٍ



مَوْضوعَةٍ فَوْقَ نارٍ . لَقَدْ كُنَّ يُمارِسْنَ السِّحْرَ الأَسْوَدَ ، وَلَكِنَّهُنَّ تَوَقَّفْنَ فَجْأَةً ، وَقالَتْ واحِدَةٌ مِنْهُنَّ : « ها هُوَ ذا آتٍ إِلَيْنا .»

وَ وَقَفَ ماكْبِث أَمامَهُنَّ قائِلاً : « أَجِبْنَ عَنْ أَسْئِلَتي .»

قالَتِ الأولى : « تَكَلَّمْ .»

وَقالَتِ الثّانِيَةُ : « فَلْتَسْأَلْ .»

وَقالَتِ الثّالِثَةُ : « سَوْفَ نُجيبُ .»

وَقَبْلَ أَنْ يُلْقِيَ المَلِكُ بِسُؤالِهِ تَلَقّى الإِجابَةَ عَنْهُ ، فَقَدْ رَأى أَشْياءَ وَهْمِيَّةً ، أَوْ قُلْ أَشْباحاً تَمُرُّ أَمامَ عَيْنَيْهِ .

وَكانَ الشَّبَحُ الأَوَّلُ رَأْسَ رَجُلٍ مُسَلَّحٍ قالَ لِماكْبِث : « راقِبْ ماكْدَف . راقِبْهُ وَخُذْ حَذَرَكَ مِنْهُ .»

وَكانَ الشَّبَحُ الثّاني طِفْلاً تُغَطيهِ الدِّماءُ ، قالَ لَهُ : « تَشَجَّعْ ، يا ماكْبِث . لَنْ يُصيبَكَ بِضُرٍّ أَبَداً آدَمِيٌّ وَلَدَتْهُ امْرَأَةٌ .»

أَمّا الشَّبَحُ الثّالِثُ فَكانَ طِفْلاً عَلى رَأْسِهِ تاجٌ وَيَحْمِلُ في يَدِهِ غُصْنَ شَجَرَةٍ ، فَقالَ : « كُنْ شُجاعاً أَبِيًّا وَلا تَأْبَهْ بِشَيْءٍ ؛ فَلَنْ يَهْزِمَكَ أَعْداؤُكَ حَتّى تَجيءَ غابَةُ بيرنام إِلى تَلِّ دانزينين .»

وَعِنْدَئِذٍ شَعَرَ ماكْبِث بِشَيْءٍ مِنَ السَّعادَةِ وَقالَ : « لَقَدْ كُنْتُ



أخافُ ماكْدَف مِنْ قَبْلُ . الآنَ سَأحْرِصُ عَلى ألا يَتمَكَّنَ مِنْ إصابَتي بِضُرٌ . أمّا الأمْرانِ الآخَرانِ فَأنّي لَهُما أنْ يَحْدُثا ؟ إنّي الآنَ مِنَ الآمنينَ .»

وَلَكِنْ كانَتْ هُناكَ مَناظِرُ أخْرى تَتَراءَى لَهُ . كانَ يَمُرُّ أمامَ عَيْنَيْهِ ثَمانِيَةُ مُلوكٍ ، ظَهَرَ بَعْدَهُمْ شَبَحٌ يُشْبِهُ بانْكو . وَما إنْ رَآهُمْ ماكْبِث حَتّى أخَذَ يَصيحُ : « إنَّ بانْكو المُخَضَّبَ بِالدِّماءِ يُشيرُ إلَيْهِمْ لِيُعَرِّفَني أنَّ هَؤُلاءِ هُمْ أبْناؤُهُ . لَنْ أرى فَوْقَ هَذا مَزيداً .»

وَأخَذَتِ السّاحِراتُ يَرْقُصْنَ في حَرَكَةٍ دائِرِيَّةٍ ثُمَّ اخْتَفَيْنَ .

* * * *

وَجاءَ إلى ماكْبِث واحِدٌ مِنْ لوردات اسْكُتْلَنْدا يُدْعى لينوكْس وَقالَ لَهُ : « إنَّ ماكْدَف قَدْ فَرَّ إلى إنجلترا .»

وَكانَ ماكْبِث يُرَدِّدُ في نَفْسِهِ ما هُوَ مُقْدِمٌ عَلَيْهِ : « سَوْفَ أحْرِقُ قَلْعَتَهُ وَأقْتُلُ زَوْجَتَهُ وَكُلَّ أطْفالِهِ .»

كانَ ماكْدَف في إنْجِلْترا بَعيداً عَنْ وَطَنِهِ . وَذاتَ مَرَّةٍ كانَ يَتَحَدَّثُ إلى مالكوم ، ابْنِ المَلِكِ دَنْكان ، وَلَمْ يَكُنْ يَبْدو لَهُما أنَّ هُناكَ نِهايَةً لِتِلْكَ الأحْداثِ الرَّهيبَةِ الَّتي تَحْدُثُ في اسْكُتْلَندا . وَفَجْأةً دَخَلَ الحُجْرَةَ روس ، أحَدُ اللّوردات ، فَسَألَهُ ماكْدَف :

« كَيْفَ تَجْري الأمورُ في اسْكُتْلَندا .»

أجابَ روس : « سَيِّئَةٌ وَهِيَ سَيِّئَةٌ دَوْماً . وَكُلُّ يَوْمٍ جَديدٍ يَأْتي بِما هُوَ أَسْوَأُ .»

قالَ لَهُ مالْكوم : « اِذْهَبْ إلى الوَطَنِ ، وَقُلْ لِشَعْبي إنَّنا قادِمونَ لِنَجْدَتِهِمْ . لَقَدْ أَمَدَّني الإنْجليز بِعَشْرَةِ آلافِ جُنْدِيٍّ . إنَّنا قادِمونَ سَريعاً لِقِتالِ ماكْبِث .»

قال روس : « هَذِهِ أَنْباءٌ طَيِّبَةٌ ، وَلَكِنْ لَدَيَّ لَكَ أَنْباءٌ غَيْرُ طَيِّبَةٍ يا ماكْدَف . ما أَشَقَّ عَلى نَفْسي أَنْ أُخْبِرَكَ بِها ! لَقَدِ اسْتَوْلى ماكْبِث عَلى بَيْتِكَ وَقَتَلَ زَوْجَتَكَ وَجميعَ أَبْنائِكَ الصِّغارِ .»

قالَ ماكْدَف ، وَهُوَ لا يَكادُ يَقْوى عَلى الكَلامِ : « ماذا ؟ جَميعَ صِغاري الظُّرَفاءِ ؟ أَ قُلْتَ كُلَّهُمْ ؟ وَأُمَّهُمْ ؟»

« الزَّوْجَةَ وَالأَطْفالَ وَالخَدَمَ وَكُلَّ مَنْ وَجَدَهُ هُناكَ .»

« وَقَدْ كُنْتُ هُنا بَعيداً عَنْهُمْ ! أَيَّتُها السَّماواتُ الرَّحيمَةُ ! اجْمَعي بَيْنَ وَحْش اسْكُتْلَندا هَذا وَبَيْني وَجْهاً لِوَجْهٍ ؛ وَحينَئِذٍ لَنْ يُفْلِتَ مِنّي .»

وَأُصيبَتْ زَوْجَةُ ماكْبِث بِمَرَضٍ وَأَخَذَتْ حالَتُها تَسوءُ . وَكانَتِ

الوَصيفَةُ الّتي تَقومُ عَلى خِدْمَتِها تَعْرِفُ أَنّها لا تَسْتَطيعُ النَّوْمَ ؛ فَقالَتْ لِلطَّبيبِ : « مُنْذُ أَخَذَ المَلِكُ يَتَأَهَّبُ لِقِتالِ ماكْدَف وَمالْكوم وَأَنا أَراها تَنْهَضُ مِنْ فِراشِها وَتَرْتَدي مَعْطَفَها وَتَأْخُذُ بَعْضَ الأَوْراقِ وَتَكْتُبُ عَلَيْها ثُمَّ تَطْويها وَتَعودُ إِلى الفِراشِ ، وَهِيَ تَقومُ بِكُلِّ هَذا وَهِيَ نائِمَةٌ لا تَعي ماذا تَفْعَلُ .»

سَأَلَها الطَّبيبُ : « ما الَّذي سَمِعْتِ مِنْها ؟»

أَجابَتْهُ : « لَنْ أُخْبِرَكَ بِما سَمِعْتُها تَقولُهُ .»

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ دَخَلَتْ اللَّيدي ماكْبِث إِلى الحُجْرَةِ في خُطًى بَطيئَةٍ وَفي يَدِها شَمْعَةٌ ، فَقالَتِ الوَصيفَةُ : « إِنَّها لا تَحْتَمِلُ البَقاءَ في الظَّلامِ ، وَهِيَ تَحْتَفِظُ دائِماً بِشَمْعَةٍ إِلى جانِبِها .»

قالَ الطَّبيبُ : « إِنَّ عَيْنَيْها مَفْتوحَتانِ ، وَهِيَ تَفْرُكُ يَدَيْها مَعاً .»

« كَثيراً ما تَفْعَلُ ذَلِكَ ، وَلِمُدَّةٍ تَبْلُغُ رُبْعَ السّاعَةِ أَحْياناً . وَيَبْدو عَلَيْها كَأَنَّها تَغْسِلُ يَدَيْها .»

قالَ الطَّبيبُ : « اِسْتَمِعي ! إِنَّها تَتَكَلَّمُ . سَأَقومُ بِكِتابَةِ ما تَقولُ .»

« لا يَزالُ يوجَدُ دَمٌ عَلى يَدَيَّ . بُقْعَةٌ واحِدَةٌ . اِذْهَبوا بِهَذا الدَّمِ . اُغْرُبي أَيَّتُها البُقْعَةُ اللَّعينَةُ ! أَقولُ لَكِ اغْرُبي ! أَ لَنْ تُصْبِحَ هاتانِ اليَدانِ نَظيفَتَيْنِ أَبَداً ؟»



لَقَدْ سَمِعَ الطَّبِيبُ وَالوَصِيفَةُ ما فيهِ الكِفايَةُ .

* * * *

وَسَرْعانَ ما عَرَفَ الجَميعُ في اسْكُتْلندا أنَّ جَيْشاً إنْجليزيًّا كَبيراً في طَريقِهِ إلَيْهِمْ . وَبَدَأَ اللّوردات يَتَحَدَّثونَ في شَأنِ مَلِكِهِمْ ، فَقالَ واحِدٌ مِنْهُمْ : « هُناكَ مَنْ يَقولونَ إنَّهُ جُنَّ .»

« إنَّ أولَئِكَ الَّذينَ يَأْتَمِرونَ بِأمْرِهِ إنَّما يَتَحَرَّكونَ لا لِشَيْءٍ إلّا لأنَّهُ يَأمُرُهُمْ أنْ يَتَحَرَّكوا ، وَلَيْسَ لأنَّهُمْ يُحِبّونَهُ أوْ يَثِقونَ بِهِ . وَلَقَبُهُ كَمَلِكٍ لا يَعْني شَيْئاً ، إنَّهُ كَرِداءٍ مارِدٍ يَرْتَديهِ لِصٌّ ضَئيلُ الجِسْمِ .»

« حَسَناً ! هَيّا بِنا نَزْحَفْ صَوْبَ بيرنام .»

* * * *

كانَ ماكْبِث يُعاني مِن اضْطرابٍ عَقْلِيٍّ ، وَمَعَ هَذا كانَ لا يَزالُ يَشْعُرُ بِأنَّه آمِنٌ : كَيْفَ يُمْكِنُ لإنسانٍ لَمْ تَلِدْهُ امْرَأَةٌ أنْ يَغْتالَهُ ؟ وَأنّى لِغابَةٍ أنْ تَنْهَضَ وَتَتَحَرَّكَ ؟

وَفَجْأةً دَوَّتْ صَرْخَةٌ في أحَدِ جَوانِبِ القَصْرِ ، وَكانَتْ صَرْخَةَ امْرَأةٍ . لَقَدْ ماتَتِ المَلِكَةُ .

قالَ ماكْبِث : « كانَ يَنْبَغي لَها أنْ تَموتَ يَوْماً ما — فيما بَعْدُ.

وَهكَذا يَسيرُ بنا الزَّمَنُ الهُوَيْنَى مِنْ يَوْمٍ إلى يَوْمٍ ، وَمِنْ غَدٍ إلى غَدٍ ثُمَّ إلى ثالِثٍ . أمّا أيّامُنا الغابِرَةُ فَقَدْ أضاءَتْ لِلْحَمْقى الطَّريقَ إلى المَوْتِ الَّذي يَرُدُّنا تُراباً .»

وَجاءَ أَحَدُ الخَدَمِ مُسْرِعاً إلى الحُجْرَةِ حَيْثُ كانَ ماكْبِث ، فَصاحَ بِهِ المَلِكُ : « يَبْدو أَنَّكَ جِئْتَ لِتُخْبِرَني شَيْئاً . أَسْرِعْ وَهاتِ ما عِنْدَكَ .»

« مَوْلاي ، لَسْتُ أَدْري كَيْفَ أُخْبِرُكَ بِما رَأَيْتُ الآنَ . بَيْنَما كُنْتُ واقِفاً في نَوْبَةِ مُراقَبَتي تَطَلَّعْتُ صَوْبَ بيرْنام فَإذا بي أرى الغابَةَ تَتَحَرَّكُ .»

قالَ ماكْبِث : « إذا لَمْ تَكُنْ تَقولُ الحَقيقَةَ فَسَآمُرُ بِشَنْقِكَ عَلى أَقْرَبِ شَجَرَةٍ .»

وَلَكِنَّها كانَتِ الحَقيقَةَ ؛ فَقَدْ أَصْدَرَ مالْكوم أَوامِرَهُ لِجُنْدِهِ أَنْ يَحْمِلوا فُروعَ أَشْجارٍ فَوْقَ رُءوسِهِمْ ؛ كَيْ يُخْفِيَ حَقيقَةَ عَدَدِ الجَيْش الزّاحِفِ صَوْبَ دانْزنين .

* * * *

غَيْرَ أَنَّ ماكْبِث كانَ يَشْعُرُ أَنَّهُ آمِنٌ ، فَأَخَذَ يَقولُ في نَفْسِهِ : « لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ ما مِنْ آدَمِيٍّ وَلَدَتْهُ امْرَأَةٌ يَسْتَطيعُ أَنْ يُلْحِقَ بي

أذى . أيْنَ يُمْكِنُ أنْ يوجَدَ ذَلِكَ الّذي لَمْ يولَدْ مِن امْرَأةٍ ؟»

وَسُمِعَتْ في أرْجاءِ المَكانِ صَيْحاتٌ مَسْعورَةٌ وَصَليلُ سُيوفٍ وَدُروعٍ وَصَرَخاتُ رِجالٍ عَلى شَفا المَوْتِ وَهُتافاتُ جُنْدٍ مُنْتَصِرينَ .

وَفَجْأةً جاءَ ماكْدَف باحِثاً عَنْ عَدُوِّهِ اللَّدودِ الّذي قَتَلَ كُلَّ مَنْ يُحِبُّهُمْ ، فَأَخَذَ يَصيحُ : « الْتَفِتْ ! أرِني وَجْهَكَ .»

قالَ ماكْبِث : « عُدْ مِنْ حَيْثُ جِئْتَ . إنَّ نَفْسي مُتْرَعَةٌ فِعْلاً بِدَم أسْرَتكَ .»

وَلاحَظَ ماكْبِث أنَّ ماكْدَف لَمْ يَكُنْ يَسْتَمِعُ إلَيْهِ ؛ فَقَدْ جاءَ لِشَيْءٍ واحِدٍ فَقَطْ ، وَهُوَ أنْ يَقْتُلَهُ ، فَصاحَ بِهِ : « إنَّكَ تُضَيِّعُ وَقْتَكَ سُدًى . ما مِنْ آدَمِيٍّ يَسْتَطيعُ أنْ يَقْتُلَني سِوى رَجُلٍ لَمْ يولَدْ مِنِ امْرَأةٍ .»

صاحَ ماكْدَف بِدَوْرِهِ : « إذاً دَعْني أخْبِرْكَ : إنَّني أخْرِجْتُ مِنْ جَسَدِ أمّي ؛ لأنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ أنْ تَلِدَني وِلادَةً طَبيعِيَّةً .»

وَعَرَفَ ماكْبِث أنَّ أجَلَهُ قَدْ حانَ ، وَلَكِنَّهُ كانَ رَجُلاً شُجاعاً فَقالَ بِأعْلى صَوْتِهِ : « هَيّا قاتِلْ حَتّى النِّهايَةِ . وَلْتَحُلَّ اللَّعْنَةُ عَلى مَنْ يَقولُ مِنّا أوَّلاً : « كَفى ! حَسْبُنا هَذا » .»

عَلى أنَّ ماكْدَف بِما كانَ يَعْتَمِلُ في نَفْسِهِ مِنْ غَضَبٍ وَحُزْنٍ كانَ أشَدَّ الاثْنَيْنِ بَأساً ، وَخَرَّ ماكْبِث صَرِيعاً ، فَفَصَلَ ماكْدَف رَأْسَهُ عَنْ جَسَدِهِ وَرَفَعَهُ لِيَراهُ الجَيْشُ الإنْجليزيُّ وَاللّورْدات الاسْكُتْلَنْدِيّون وَجُنودُهُمْ .

وَقالَ لَهُمْ مالْكوم مَلِكُهُمُ الجَديدُ : « أشْكُرُكُمْ جَميعاً مِنْ صَميمِ فُؤادي ، يا مَنْ قُمْتُمْ بِمُساعَدَتي . »

وَعادَ الجُنْدُ المُتْعَبونَ إلى مَنازِلِهِمْ ، وَلَكِنْ عَلى أنْ يَعودوا سَريعاً إلى سُكونٍ ؛ كَيْ يُشاهِدوا تاجَ اسْكُتْلندا يوضَعُ عَلى رَأْسِ مَليكِهِمُ الجَديدِ الشّابِّ .

أنْطونيوس و كليوپاتْرا

اُغْتيلَ يولْيوس قيَصْر عامَ ٤٤ قَبْلَ الميلادِ ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ آلَ حُكْمُ الإمْبِراطوريَّةِ الرّومانِيَّةِ المُتَرامِيَةِ الأطْرافِ إلى ثَلاثَةٍ تَوَلَّوا الحُكْمَ مَعًا . وَكانَ أعْضاءُ الحُكومَةِ الثُّلاثِيَّةِ هَذِهِ هُمْ : أوكْتافيوس قَيْصر ، وَأنْطونيوس ، وَلپيدوس .

وَكانَ أوكْتافيوس ، وَهُوَ ابْنُ أخْتِ يوليوس قَيْصر ، يَحْكُمُ إيطاليا والغَرْبَ . وَيَحْكُمُ أنْطونيوس الشَّرْقَ : سوريا وَمِصْر .

وَكانَتْ كليوپاترا مَلِكَةَ مِصر ، وَقَدْ أحَبَّتْ في زَمَنٍ ما يولْيوس قيصر . وَبَعْدَ مَوْتِ يولْيوس قابَلَها أنْطونيوس وَأحَبَّتْهُ .

الزَّمانُ عامُ أرْبَعينَ قَبْلَ الميلادِ ، وَالمَكانُ قَصْرُ كليوپاتْرا في الإسْكَنْدَرِيَّةِ بِمِصر ، حَيْثُ كانَ عَدَدٌ مِنْ أصْدِقاءِ أنْطونيوس وَضُبّاطِ جَيْشِهِ هُناكَ . وَكانَ يَمْلَؤُهُمُ الغَيْظُ وَهُمْ يَرَوْنَ جُنْدِيًّا عَظيماً

كَسَيِّدِهِمْ وَقَدْ أصبَحَ أُلعوبَةً في يَدِ امْرَأةٍ فاتِنَةٍ .

قالَ واحِدٌ مِنْهُمْ : « أُنْظُروا ! إنَّهُما قادِمانِ !»

وَدَخَلَ أَنْطونيوس وَكليوپاتْرا وَحاشِيَتُهُما ، وَكانا يَتَحَدَّثانِ عَنْ حُبِّهِما .

قالَتْ كليوپاتْرا : « إذا كُنْتَ تُحِبُّني حَقًّا فَأَخْبِرْني إلى أيِّ مَدًى ؟»

أجابَها أَنْطونيوس : « لَيْسَ في هَذا العالَمِ شَيْءٌ يُضارِعُ حُبّي لَكِ . عَلَيْكِ أنْ تَجِدي سَماءً جَديدَةً وَأَرْضًا جَديدَةً إذا كُنْتِ تُريدينَ أنْ تَعرِفي مِقْدارَ حُبّي لَكِ .»

وَبَيْنَما هُما في هَذِهِ الحالِ ، إذا بِرَسولٍ يَدْخُلُ المكانَ وَيَقولُ : « إلَيْكُمْ أنْباءً مِنْ روما !»

« أ هَذِهِ رِسالَةٌ مِنْ زَوْجَتِكَ فَلْفيا ؟ أَمْ لَعَلَّها مِنَ الفَتى الصَّغيرِ أوكْتافيوس قَيْصر ؟ هَلْ يُصْدِرونَ إلَيْكَ الأوامِرَ أَمْ يَسْتَدْعونَكَ إلى روما ؟ وَبِأَيِّ حَقٍّ يَفْعَلونَ هَذا ؟»

« فَلْتَسْقُطْ روما في نَهْرِ التِّيبر ! بَلْ تَسْقُطِ الإمْبراطورِيَّةُ كُلُّها ! إنَّ عَظَمَةَ الحَياةِ وَمَجْدَها في أنْ أَفْعَلَ هَذا .» وَقامَ أَنْطونيوس

بِتَقْبيلِها .

وَتَرَكَتْهُ كليوپاتْرا قائِلَةً : « يَجِبُ أَنْ تَسْتَمِعَ إلى الرُّسُلِ .»

قالَ الرَّسولُ : « إنَّ لابينس يَتَهَيَّأُ لِلْمَجيءِ مِنَ الشَّرْقِ لِيُهاجِمَ سوريا ، على حينَ ...»

« أجَلْ ، وَقالوا لَكَ أنْ تُضيفَ : « على حينَ أَنْطونيوس مَعَ كليوپاتْرا » أخْبِرْني بِما تَقولُهُ زَوْجَتي فَلْڤيا عَنْها وَعَنّي .»

وَكانَ رَسولٌ ثانٍ يَنْتَظِرُ دَوْرَهُ .

قالَ أَنْطونيوس : « فَلْيَدْخُلْ . لا بُدَّ لي مِنْ أنْ أحَطِّمَ هَذِهِ الأصْفادَ المِصْرِيَّةَ ، وَإلّا فَلَنْ أكونَ سَيِّدَ نَفْسي .»

وَقالَ هَذا الرَّسولُ : « إنَّ فَلْڤيا ، زَوْجَتَكَ ، قَدْ ماتَتْ .» ثُمَّ ناوَلَهُ خِطاباً وَانْصَرَفَ .

قالَ أَنْطونيوس : « إنَّني مَسْرورٌ لأنَّها رَحَلَتْ . وَإنْ كُنْتُ أتَمَنّى لَوْ تَعودُ إلَيَّ مَرَّةً أخْرى . لا بُدَّ لي أنْ أتَحَرَّرَ مِنْ إسارِ هَذِهِ الفاتِنَةِ كليوپاتْرا . إنَّ بَلادَتي تُلْحِقُ بي أذًى كَبيراً .»

وَنادى إينوباربوس ، أحَدَ ضُبّاطِ جَيْشِهِ ، وَقالَ لَهُ : « لا بُدَّ مِنْ أنْ نَرْحَلَ عَنْ هُنا فَوْراً .»



« إذا سَمِعَتْ كليوپاتْرا بِهَذا فَستَقْتُلُ نَفْسَها . لَقَدْ رَأَيْتُها عِشْرينَ مَرَّةً تَكادُ تَموتُ لأسْبابٍ أَقَلَّ شَأْناً مِنْ هَذا . »

فَقالَ أنْطونيوس : « إنَّها داهِيَةٌ . »

« إنَّ عَواطِفَها مُتَأَجِّجَةٌ ، وَدُموعَها كَالعاصِفَةِ . »

قالَ أنْطونيوس : « لَكَمْ تَمَنَّيْتُ لَوْ لَمْ أرَها . لَقَدْ ماتَت فَلْڤيا . وَالأنْباءُ الَّتي وَصَلَتْني تَتَطَلَّبُ وُجودي في روما . فَلْتُخْبِرْ جَميعَ الجُنودِ أنَّنا يَجِبُ أنْ نَرْحَلَ في الحالِ . »

* * * *

وَأَحَسَّتْ كليوپاتْرا أنَّ أنْطونيوس عازِمٌ عَلى الرَّحيلِ ، فَسَأَلَتْ وَصيفَتَها شارميان : « أيْنَ هُوَ ؟ اِذْهَبي وَابْحَثي عَنْهُ ، فَإنْ أَلْفَيْتِهِ مُتَجَهِّماً فَقولي لَهُ إنَّني أَرْقُصُ ، وَإنْ كانَ سَعيداً فَقولي لَهُ إنَّني مَريضَةٌ . »

« مَوْلاتي ، إذا كُنْتِ تُحِبّينَهُ فَلَسْتِ بِحاجَةٍ إلى شَيْءٍ مِنْ هَذا القَبيلِ لِتَحْمِليهِ عَلى حُبِّكِ . »

« وماذا يَنْبَغي أنْ أَفْعَلَ ؟ »

« أنْ تَسْتَسْلِمي لَهُ في كُلِّ شَيْءٍ . »

« إنَّها الطَّريقَةُ الَّتي أفْقِدُهُ بِها . ها هُوَ ذا آتٍ . أيْ أنْطونيوس ؛ إنَّني مَريضَةٌ . ساعِديني ، يا شارْميان ، وَإلّا أغْمِيَ عَلَيَّ .»

قالَ أنْطونيوس : « مَليكَتي العَزيزَةَ ؛ ما بِكِ ؟»

« إنَّ عَيْنَيْكَ تُظْهِرانِ أنَّ لَدَيْكَ أنْباءً . هَلْ تَطْلُبُ إلَيْكَ زَوْجَتُكَ أنْ تَرْحَلَ عَنّا ؟ كُنْتُ أتَمَنّى لَوْ لَمْ تَسْمَحْ لَكَ بِالمَجيءِ أصْلاً . لَيْسَ لي عَلَيْكَ سُلْطانٌ ؛ فَأنْتَ مِلْكُ يَمينِها . كَيْفَ يَسوغُ لي أنْ أعْتَقِدَ أنَّكَ مُخْلِصٌ في حُبِّكَ إيّايَ وَأنْتَ مُخادِعٌ في حُبِّكَ فَلْڤيا ؟»

« مَليكَتي الرَّقيقَةَ الجَميلَةَ ...»

« كَفى ! قُلْ وَداعًا وَاذْهَبْ ! إنَّكَ أعْظَمُ جُنْدِيٍّ في العالَمِ ، وَها أنْتَ ذا تُصْبِحُ الآنَ أعْظَمَ مُخادِعٍ .»

« اِسْتَمِعي إلَيَّ أيَّتُها المَلِكَةُ ، لا بُدَّ أنْ أذْهَبَ ، وَلَكِنَّ قَلْبي سَيَظَلُّ مَعَكِ . لَقَدْ حَشَدَ پومپي جَيْشًا كَبيرًا ضِدَّ أوكْتاڤيوس قَيْصر وَلِپيدوس وَضِدّي ، وَهُوَ يُبْحِرُ بِأسْطولِهِ الآنَ صَوْبَ روما . وَزَوْجَتي فَلْڤيا قَدْ ماتَتْ .»

« يا لَلْحُبِّ الزّائِفِ ! فَلِمَ لا تَبْكيها ؟ الآنَ قَدْ عَرَفْتُ كَيْفَ سَتَتَلَقّى خَبَرَ مَوْتي .»

« لا داعِيَ لِهَذا الشِّجارِ . وَلَكِنْ حاوِلي أنْ تَتَفَهَّمي ما أنْتَوي أنْ

أفْعَلَ . سَأفْعَلُ – أوْ لا أفْعَلُ – ما تَنْصَحينَ بِهِ . إنَّني ذاهِبٌ مِنْ هُنا وَأنا جُنْدِيُّكِ ، خادِمُكِ لأصْنَعَ السِّلْمَ أوِ الحَرْبَ كما تَرْغبينَ .»

« إذاً فَأنْطونيوس يُحِبُّني ، وَعَلَيْهِ فَأنا لَسْتُ بِمَريضَةٍ . قَدْ تَتَظاهَرُ بِأنَّكَ تَبْكي فَلْقيا ؛ وَلَكِنَّ دُموعَكَ الحَقيقِيَّةَ إنَّما هِيَ مِنْ أجْلي .»

وَانْحَنى أنْطونيوس أمامَها فَقالَتْ : « إنَّكَ عَلى أدَبٍ جَمٍّ ، يا سَيِّدي . وَلَكِنْ لِتَسْتَمِعْ إلى كَلِمَةٍ واحِدَةٍ . سَيِّدي ، يَجِبُ أنْ نَفْتَرِقَ ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ المَسْألَةُ . تَحابَبْنا ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ المَسْألَةُ كَذَلِكَ ؛ لأنَّكَ تَعْرِفُ ذَلِكَ جَيِّداً. المَسْألَةُ أنَّني يَجِبُ عَلَيَّ أنْ أتَذَكَّرَ أنْطونيوس حينَ يَكونُ هُوَ قَدْ نَسِيَني تَماماً .»

وَحينَ رَحَلَ أنْطونيوس شَعَرَتْ كليوپاتْرا أنَّ الوَقْتَ يَمُرُّ بِبُطْءٍ ، وَأنَّ أنْطونيوس يَمْلأُ عَلَيْها تَفْكيرَها ، فَقالَتْ : « إلَيَّ بِشَيْءٍ مِنَ المُنَوِّمِ يا شارْميان ؛ كَيْ أمْلأَ بِالنَّوْمِ هَذا الوَقْتَ الشّاغِرَ بِغِيابِ أنْطونيوس .»

« أنْتِ تُفَكِّرينَ فيهِ كَثيراً .»

« شارْميان ! أيْنَ تَظُنّينَهُ الآنَ ؟ هَلْ هُوَ واقِفٌ ؟ أمْ جالِسٌ ؟ أمْ سائِرٌ ؟ أمْ عَلى صَهْوَةِ جَوادِهِ ؟ ما أسْعَدَهُ جَواداً بِحَمْلِهِ أنْطونيوس !»

وَجاءَ أليكْساس ، أحَدُ خَدَمِ كليوپاتْرا ، وَقَدَّمَ لَها رِسالَةً وَلُؤْلُؤَةً مِنْ أنْطونيوس .»



قالَتْ : « أ كانَ حَزيناً أمْ سَعيداً ؟ وَهَلْ قابَلْتَ أيا مِنْ رُسُلي ؟»

« أجَلْ ، يا مَوْلاتي ، عِشْرينَ مِنْهُمْ . لِماذا أرْسَلْتِ بِكُلِّ هَذا العَدَدِ ؟»

« أنا أرْسِلُ بِهَذا العَدَدِ كُلَّ يَوْمٍ . هَلْ تَظُنّينَ ، يا شارْميان ، أنّني قَدْ أحْبَبْتُ يوليوس قَيْصَرَ إلى هَذا الحَدِّ ؟»

قالَتْ شارْميان : « يا لَيوليوس قَيْصر الشُّجاعِ !»

« أنا لَمْ أكُنْ أحِبُّهُ حَقًّا ؛ فَقَدْ كُنْتُ آنَذاكِ غَضَّةَ الإهابِ ، لا أحْسِنُ الحُكْمَ عَلى الأشْياءِ ، كَما أنَّ تَجْرِبَتي كانَتْ غَيْرَ ناضِجَةٍ وَعَواطِفي لَيْسَتْ قَوِيَّةً .»

* * * *

وَعِنْدَما وَصَلَ أنْطونيوس إلى روما كانَ أوكْتافيوس قَيْصر ولپيدوس مُجْتَمِعَيْنِ في مَنْزِلِ الأخيرِ ، فاسْتَقْبَلَهُ أوكْتافيوس قَيْصر قائِلاً : « مَرْحَباً بِكَ في روما .»

« لَقَدْ نَمى إلى سَمْعي أنَّكَ غاضِبٌ مِنّي لأمورٍ غَيْرِ حَقيقِيَّةٍ .»

« لَقَدْ كَتَبْتُ إلَيْكَ حينَ كُنْتَ تَمْرَحُ في الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، فَوَضَعْتَ خِطاباتي في جَيْبِكَ وَطَرَدْتَ رُسُلي .»

وَتَدَخَّلَ ماكيناس صَديقُ أوكْتافيوس قائِلاً : « لا تَأخُذوا في هَذا الشِّجارِ ؛ فَإنَّنا نَحْتاجُ الآنَ لِكُلِّ الأقْوياءِ .»

قالَ أوكْتافيوس : « لَنْ نَسْتَطيعَ أنْ نَظَلَّ أصْدِقاءَ ؛ فَأيُّ شَيْءٍ يَرْبِطُ بَيْنَنا ؟»

وَقالَ صَديقٌ آخَرُ لأوكتافيوس يُدْعى أجْريبا : « لَقَدْ ماتَتْ زَوْجَةُ أنْطونيوس ، وَلَكَ أخْتٌ هِيَ أوكْتافيا الجَميلَةُ . فَلْيَتَزَوَّجْ أنْطونيوس أوكْتافيا ، وَحُبُّها لَكُما سَوْفَ يَرْبِطُ بَيْنَكُما .»

وَأدْرَكَ أنْطونيوس ما في هَذا القَوْلِ مِنْ حِكْمَةٍ وَصَوابٍ فَقالَ « قَيْصَر ، أعْطِني يَدَكَ ! مِنْ هَذِهِ السّاعَةِ سَنَكونُ وَكَأنَّنا شَقيقانِ .»

وَرَفَعَ أوكْتافيوس يَدَهُ إلى أنْطونيوس قائِلاً : « إنَّني أهَبُكَ أخْتي .»

« دَعْها تَعِشْ لِتَرْبِطَ بَيْنَ مَمْلَكَتَيْنا وَمِنْ ثَمَّ بَيْنَ قَلْبَيْنا .»

وَغادَرَ كُلٌّ مِنْ أوكْتافيوس وَأنْطونيوس ولپيدوس المَكانَ مَعاً .

قالَ ماكيناس : « إنَّ كليوپاتْرا امْرَأةٌ رائِعَةٌ ، إذا كانَ عَلَيْنا أنْ نُصَدِّقَ كُلَّ ما يُقالُ عَنْها .»

أجابَهُ إينوبارْبوس : « أجَلْ ، لَقَدْ أسَرَتْ قَلْبَ أنْطونيوس مُنْذُ رَآها عَلى نَهْرِ كِدْنُس . لَقَدْ كانَ مَنْظَراً رائِعاً ؛ فَالسَّفينَةُ الَّتي كانَتْ

تَجْلِسُ فيها كانَتْ مُغَطّاةً بِصَفائِحَ مِنَ الذَّهَبِ . وَكانَتِ المَجاديفُ الفِضِّيَّةُ تَتَحَرَّكُ عَلى أَنْغامِ الموسيقى ، وَكانَتْ كليوپاتْرا تَجْلِسُ تَحْتَ خَيْمَةٍ قُماشُها مِنَ الذَّهَبِ . وَأَيَّةُ مُحاوَلَةٍ لِوَصْفِ جَمالِها سَتَكونُ هَزيلَةً ؛ فَجَمالُها يَجِلُّ عَنِ الوَصْفِ .»

قالَ ماكيناس : « عَلى أَنْطونيوس أَنْ يَهْجُرَها إِلى الأَبَدِ .»

أَجابَ إِينوباربوس : « لا ! لا ! إِنَّ أَنْطونيوس لَنْ يَسْأَمَها ؛ فَهِيَ مُفْعَمَةٌ بِالحَياةِ ، وَيَبْدو أَنَّها لَنْ تَهْرَمَ وَلَنْ يَذْوِيَ شَبابُها . قَدْ يَكونُ غَيْرَ راغِبٍ الآنَ في العَوْدَةِ إِلَيْها وَلَكِنَّهُ حَتْماً سَيَعودُ .»

وَكانَتْ كليوپاتْرا في قَصْرِها بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَمَعَها شارْميان وَأَيراس وَكَذَلِكَ أَليكساس أَحَدُ خَدَمِها .

قالَتْ : « شَيْئاً مِنَ الموسيقى ؛ فَإِنَّها غِذاءُ الحُبِّ – لا ، بَلْ سَنَذْهَبُ لِصَيْدِ السَّمَكِ . وَكُلَّما اصْطَدْتُ سَمَكَةً سَأَتَصَوَّرُ أَنَّها أَنْطونيوس وَأَقولُ : «« مَرْحى ! مَرْحى ! ها قَدْ وَقَعْتَ في قَبْضَتي !»» وَحينَئِذٍ دَخَلَ عَلَيْها رَسولٌ مِنْهُ فَقالَتْ : « عَجَباً ! رَسولٌ أَتى مِنْ إِيطاليا ... لَقَدْ مَضى زَمَنٌ طَويلٌ لَمْ يَصِلْني خِلالَهُ أَيُّ نَبَإٍ .»

« مَوْلاتي ، إِنَّ أَنْطونيوس بِخَيْرٍ ، وَقَدْ تَوَثَّقَتْ عُرى الصَّداقَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أوكتافيوس قَيْصر أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضى . وَلَكِنْ ...»



« أنا لا أحِبُّ كَلِمَةَ « لكِنْ » . أخْبِرْني بِالخَيْرِ والشَّرِّ مَعاً .»

« مَوْلاتي ، لَقَدْ تَزَوَّجَ أوكْتاڤيا .»

لَطَمَتْ كليوپاتْرا الرَّسولَ قائِلَةً : « ماذا تَقولُ ؟ سَوْفَ أفْقَأُ عَيْنَيْكَ ، وَأنْتِفُ شَعْرَكَ ، وَأجْلِدُكَ ، وَأسْلُقُكَ في ماءِ البَحْرِ .»

« مَوْلاتي ، إنَّني حَمَلْتُ النَّبَأَ فَقَطْ ، وَلَكِنّي لَمْ أعْقِدْ زَواجَهُما.» فَاسْتَلَّتْ خِنْجَرَها قائِلَةً : « لَقَدْ عِشْتَ أكْثَرَ مِمّا يَنْبَغي !»

وَتَدَخَّلَتْ شارْميان قائِلَةً : « إنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ جُرْماً .»

قالَتْ كليوپاتْرا : « اُغْرُبْ عَنْ وَجْهي .» فَأطْلَقَ الرَّسولُ ساقَيْهِ لِلرِّيحِ . وَعادَتْ كليوپاتْرا تَقولُ : « أيْ أيراس وَشارْميان ! سَيُغْشى عَلَيَّ . وَأنْتَ يا أليكساس ، اِذْهَبْ إلى الرَّسولِ وَاحْمِلْهُ عَلى أنْ يُخْبِرَكَ عَنْ أوكْتاڤْيا – عَنْ سِنِّها وَلَوْنِ شَعْرِها وَطولِ قامَتِها . فَلْتَرْثي لِحالي يا شارْميان . لا تُحَدِّثيني ، بَلْ سيري بي إلى حُجْرَتي .»

* * * *

كانَ پومْپي وَ أوكْتاڤيوس قَيْصر وَ أنْطونيوس وَلِپيدوس مُجْتَمِعينَ عَلى تَلٍّ مِنَ التِّلالِ . وَكانَ جَيْشُ أوكْتاڤيوس وَأنْطونيوس عَلى مَقْرَبَةٍ مِنْهُمْ ، وَأسْطولُ پومْپي مُرابِطاً في الخَليجِ .

وَعَرَضَ أوكْتافيوس وَأنْطونيوس عَلى پومْپي أنْ يَتَنازَلا لَهُ عَنْ جَزيرَتَيْنِ هُما صِقِلِّيَة وَسَرْدينيا ، وَفي مُقابِلِ ذَلِكَ يَتَعَهَّدُ لَهُما بِالدِّفاعِ عَنِ السَّواحِلِ ضِدَّ أيِّ هُجومٍ ، وَبِأنْ يُمِدَّ روما بِالقَمْحِ .

وَ وافَقَ پومْپي وَدعاهُمْ إلى وَليمَةٍ عَلى سَفينَتِهِ ، ثُمَّ سارَ أمامَهُمْ إلى السَّفينَةِ .

وبَيْنَما هُمْ في طَريقِهِمْ إذا بِميناس ، أحَدِ أصْدِقاءِ پومْپي ، يَتَوَجَّهُ بِالسُّؤالِ إلى إينوباربوس : « هَلْ أنْطونيوس مُتَزَوِّجٌ بِكليوپاتْرا ؟»

« لا ، إنَّهُ مُتَزَوِّجٌ بِأوكْتاڤيا .»

« إذاً فَهُوَ وَأوكْتافيوس قَيْصر مُرْتَبِطانِ بِبَعْضِهِما إلى الأبَدِ ؟»

« لا ؛ إنَّ أوكْتاڤيا امْرَأةٌ تَقِيَّةٌ رَزينَةٌ ، جَمالُها عادِيٌّ غَيْرُ أخّاذٍ . سَيَعودُ أنْطونيوس إلى كليوپاتْرا ، الأمْرُ الَّذي سَتَغْضَبُ لَهُ أوكْتاڤيا وَيَغْضَبُ لَهُ أوكْتافيوس قَيْصر أيْضاً ؛ فَهِيَ سَتُضْرِمُ نيرانَ الغَضَبِ في قَلْبِ أوكْتافيوس .»

وَعَلى مَتْنِ السَّفينَةِ أسْرَفَ لِپيدوس في الشَّرابِ حَتّى خَرَّ ثَمِلاً ، فَأمَرَ أنْطونيوس أنْ يَأخُذوهُ إلى الشّاطِئِ . وَأشارَ إينوباربوس إلى الخادِمِ الَّذي يَحْمِلُ لِپيدوس وَقالَ : « انْظُرْ ، يا ميناس ، يا لَهُ مِنْ جَبّارٍ ! إنَّهُ يَحْمِلُ ثُلْثَ العالَمِ عَلى ظَهْرِهِ .»

أجابَ ميناس : « وَثُلثُ العالَم ثَمِلَ مَخْمورٌ . أَتَمَنّى لَوْ كانوا كُلُّهُمْ سُكارَى ؛ إذاً لأَصْبَحَ العالَمُ أَفْضَلَ مِمّا هُوَ عَلَيْهِ الآنَ .»

وَاجْتَمَعَ أوكْتافيوس قَيْصَر وَأنْطونيوس في بَيْتِ قَيْصر وَصَدَّقا عَلى الاتِّفاقِ بَيْنَهُما ، وَبِمُقْتَضاهُ يَحْكُمُ أوكْتافيوس قَيْصر الجُزْءَ الغَرْبِيَّ مِنَ الإمْبِراطورِيَّةِ وَيَحْكُمُ أنْطونيوس الشَّرْقَ . وَكانَتْ أوكْتافيا مَعَهُما ، وَكانَتْ حَزينَةً عَلى مُغادَرَةِ روما مَعَ زَوْجِها . وَفي وَداع قَيْصر لأنْطونيوس قالَ لَهُ : « إنَّكَ تَأْخُذُ مِنّي جُزْءاً مِنْ نَفْسي . أَحْسِنْ مُعامَلَتَها . أمّا أَنْتِ ، يا أخْتي ، فَلْتَكوني لَهُ زَوْجَةً صالِحَةً . وَإنّي لأَرْجو لِهَذا الزَّواجِ ، الَّذي مِنْ شَأْنِهِ أنْ يَرْبِطَ بَيْنَنا مَعاً ، ألا يَنْقَلِبَ أَبَداً إلى شَيْءٍ قَدْ يَفْصِمُ عُرى صَداقَتِنا . يا أوكْتافيا ، سَأَظَلُّ أَذْكُرُكِ . إلى اللِّقاءِ ، وَلْتَسْعَدي وَلْتَهْنَئي .» ثُمَّ قَبَّلَها .

* * * *

وَلَكِنْ سَرْعانَ مَا اضْطَرَبَتِ الأمورُ بَيْنَ أوكْتافيوس قَيْصَر وَأَنْطونيوس . فَقَدْ أخْطَرَ لِبيدوس ، صَديقُ أَنْطونيوس ، إينوباربوس بِالأماراتِ الَّتي تُشيرُ إلى أنَّ أوكْتافيوس كانَ يَنْشُدُ الاسْتِئْثارَ بِالسُّلْطَةِ كُلِّها ، فَقالَ لَهُ : « لَقَدْ ألْغى أوكْتافيوس قَيْصر وَلِبيدوس مَعاً الاتِّفاقَ ، وأعْلَنا الحَرْبَ عَلى پومْپي ، ثُمَّ انْقَلَبَ أوكْتافيوس عَلى لِبيدوس وَأَوْدَعَهُ السِّجْنَ .»

قالَ إينوباربوس : « كُنْتُ أَتَوَقَّعُ ذَلِكَ . وَهَكَذا أَصْبَحَ لِلْعالَم رَجُلانِ يَحْكُمانِهِ وَسَوْفَ يَقْتَتِلانِ .»

وَكانَ أَنْطونيوس يَتَحَدَّثُ إلى أوكْتافْيا في مَنْزِلِهِما بِأَثينا : « إِنَّ لَدَيَّ كَثيراً مِنَ الأُمورِ الَّتي لا بُدَّ لي أَنْ أَشْكُوَ مِنْها . فَقَدْ أَعْلَنَ أَخوكِ الحَرْبَ عَلى بومْبي ، وَأَلْقَى خِطاباً عَلى الشَّعْبِ لَمْ يَكَدْ يُشيرُ إِلَيَّ فيهِ بِشَيْءٍ ، وَلَمْ يُشِرْ إِلَيَّ إِلّا لِماماً .»

أَجابَتْهُ أوكْتافْيا : « لا تُصَدِّقْ كُلَّ هَذا . وَإِذا كانَ لا بُدَّ لَكَ أَنْ تُصَدِّقَ شَيْئاً مِنْهُ فَلْتَتَغاضَ عَنْهُ . إِنَّني تَعِسَةٌ جِدًّا بِهَذا النِّزاعِ .»

« يَجِبُ أَنْ تَذْهَبي وَتُصْلِحي بَيْنَنا .»

« أَجَلْ ، إِنَّ الحَرْبَ بَيْنَكُما سَتَجْعَلُ العالَمَ يَبْدو وَكَأَنَّهُ انْقَسَمَ قِسْمَيْنِ .»

« فَلْتَتَخَيَّري الوَفْدَ الَّذي سَيَصْحَبُكِ إلى روما وَلا تُلْقي بالاً لِلنَّفَقاتِ .»

وَعِنْدَما وَصَلَتْ أوكْتافْيا إلى روما قالَتْ لأَخيها : « إِنَّني لَمْ أُكْرَهْ عَلى المَجيءِ إِلَيْكَ ، يا أَخي . لَقَدْ جِئْتُ لأَنَّ زَوْجي أَنْطونيوس سَمِعَ أَنَّكَ تَسْتَعِدُّ لِلْحَرْبِ .»

قالَ أوكْتافيوس : « إنَّني أقومُ بِمُراقَبَتِهِ . أيْنَ هُوَ الآنَ ؟ »

« في أثينا . »

« لا ، إنَّهُ لَيْسَ في أثينا . لَقَدِ اسْتَدْعَتْهُ كليوپاتْرا فَسَلَّمَها إمْبِراطوريَّتَهُ ، وَهُما الآنَ يَجْمَعانِ مُلوكَ ليبيا وَبِلادِ العَرَبِ وَسائِرِ أقْطارِ المَشْرِقِ لِيَنْضَمّوا إلَيْهِما . »

وَأقامَتْ أوكْتاڤيا في روما ، أمّا أوكتافيوس فَأخَذَ يَتَأهَّبُ لِقِتالِ أنْطونيوس .

* * * *

إذاً فَقَدْ عادَ أنْطونيوس إلى كليوپاتْرا ، وَكانَ إينوباربوس مُصيباً فيما تَوَقَّعَ ، وَبَدا أنْطونيوس وَكأنَّ قُوَّةً سِحْرِيَّةً تَجْذِبُهُ إلَيْها .

أمّا أوكْتافيوس فَكانَ يَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ . وَحينَ ظَهَرَ أسْطولُهُ بِالقُرْبِ مِنْ أكْتيوم ، أخَذَ أنْطونيوس يَسْتَعِدُّ لِخَوْضِ غِمارِ مَعْرَكَةٍ بَحْرِيَّةٍ .

وَسَألَهُ أصْدِقاؤُهُ : « لِماذا تُحارِبُ أوكْتافيوس قَيْصَر في البَحْرِ ؟ »

أجابَ أنْطونيوس : « لأنَّهُ عَرَضَ أنْ تَكونَ المَعْرَكَةُ بَحْرِيَّةً . »

قالَ لَهُ إينوباربوس : « لَقَدْ عَرَضْتَ عَلَيْهِ في فَرْساليا أنْ تَكونَ

المَعْرَكَةُ بَرِّيَّةً بَيْنَ جَيْشَيْكُما وَلَكِنَّهُ رَفَضَ ؛ فَلا حَرَجَ عَلَيْكَ الآنَ أنْ تَرْفُضَ مَعْرَكَةً بَحْرِيَّةً هُنا . إنَّ سُفُنَهُ وَمَلّاحِيهِ أفْضَلُ مِنْ سُفُنِكَ . وَلَدَيْكَ أحْسَنُ الجَيْشَيْنِ ، كَما أنَّ خِبْرَتَكَ في الحَرْبِ البَرِّيَّةِ تَفوقُ خِبْرَتَهُ .»

وَلَكِنَّ أنْطونيوس أصَرَّ قائِلاً : « سَأحارِبُ في البَحْرِ .»

قالَتْ كليوباتْرا : « سَأتَوَلّي أنا إمْرَةَ السُّفُنِ المِصْرِيَّةِ بِنَفْسي .»

وَلَمْ يَسْتَرِحْ إينوباربوس لِذَلِكَ القَوْلِ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « إنَّها سَتَصْرِفُ انْتِباهَ أنْطونيوس عَنِ المَعْرَكَةِ ، فَضْلاً عَنْ أنَّها امْرَأةٌ سَريعَةُ التَّقَلُّبِ ، وَسَوْفَ يَنْتابُها الفَزَعُ بِسُهولَةٍ .»

وَهَكَذا أبْحَرَ أنْطونيوس بِأسْطولِهِ وَكليوباتْرا بِسُفُنِها المِصْرِيَّةِ لِمُحارَبَةِ أسْطولِ أوكْتافيوس قَيْصَر . وَفي بادِئِ الأمْرِ كانَ الجانِبانِ مُتَكافِئَيْنِ ، وَلَكِنْ وَالمَعْرَكَةُ في ذِرْوَتِها ، أصيبَتْ كليوباتْرا بِالفَزَعِ ، كَما تَوَقَّعَ إينوباربوس ، وَانْسَحَبَتْ وَمَعَها سُفُنُها ، وَتَبِعَها أنْطونيوس .

وَفيما بَعْدُ أخَذَ أنْطونيوس يَتَحَدَّثُ إلى ضُبّاطِهِ وَتابِعيهِ وَهُمْ في قَصْرِ كليوباتْرا : « لَقَدْ خَسِرْتُ كُلَّ شَيْءٍ . فَلْتَأخُذوا سَفينَتي المَليئَةَ بالذَّهَبِ . انْطَلِقوا بِها وَاعْقِدُوا صُلْحَكُمْ مَعَ أوكْتافيوس ، وَسَوْفَ أعْطيكُمْ خِطاباتٍ لأصْدِقاءَ لي في روما لِيَمُدّوا لَكُمْ يَدَ المُساعَدَةِ .»

وَعِنْدَئِذٍ جاءَتْ كليوپاتْرا وَمَعَها أيراس وشارْميان فَقالَتْ : « سَيِّدي ؛ اغْفِرْ لي وَلأسْطولي خُروجَهُ مِنَ المَعْرَكَةِ . ما كُنْتُ أظُنُّ أنَّكَ سَتَلْحَقُ بِنَا .»

« لَعَلَّكِ لا تَعْرِفينَ إلى أيِّ مَدًى كُنْتِ أنْتِ الَّتي أوْقَعْتِ بِيَ الهَزيمَةَ .»

« سامِحْني . سامِحْني .»

« لا تَذْرِفي دَمْعَةً واحِدَةً ؛ فَإنَّها تَعْدِلُ كُلَّ ما فَقَدْتُ . هَبيني قُبْلَةً ؛ كَيْ تُعَوِّضيني عَمَّا فَقَدْتُ . سَأكْتُبُ لأوكْتافيوس قَيْصَرَ أدْعوهُ إلى قِتالٍ مُنْفَرِدٍ بَيْني وَبَيْنَهُ : سَيفي ضِدُّ سَيْفِهِ .»

وَسَمِعَهُ إينوباربوس فَأحَسَّ بِحُزْنٍ عَميقٍ ، وَأخَذَ يُسائِلُ نَفْسَهُ : « أ وَ يَظُنُّ أنَّ أوكْتافيوس ، الَّذي يَمْلِكُ الآنَ كُلَّ شَيْءٍ ، سَوْفَ يُخاطِرُ بِمُلاقاةِ مُبارِزٍ أقْوى مِنْهُ وَأقْدَرَ ؟ يَبْدو أنَّ أوكْتافيوس قَدْ ألْحَقَ بِهِ الهَزيمَةَ لَيْسَ في المعْرَكَةِ فَحَسْبُ ، وَلَكِنْ في حُسْنِ تَقْديرِهِ لِلأمورِ أيْضاً .»

وَأخيراً طَلَبَ أنْطونيوس إلى أوكْتافيوس أنْ يَسْمَحَ لَهُ بِالعَيْش في مِصْرَ أوْ أثينا بَقِيَّةَ أيّامِ حَياتِهِ ، وَأنْ يَهَبَ مِصْرَ إلى كليوپاتْرا لِتُنَشِّئَ أبْناءَها بِها .

أمّا أوكْتافيوس فَقالَ لِصَديقِهِ ثايريس : « اِذْهَبْ وَفَرِّقْ بَيْنَ أنْطونيوس وَكليوپاتْرا . عِدْها بِكُلِّ ما تَطْلُبُ ، وَأَكْثَرَ مِمّا تَطْلُبُ . وَراقِبْ أنْطونيوس ، وَتَبَيَّنْ كَيْفَ سَيَتَصَرَّفُ ، وَاكْشِفِ النِّقابَ عَنْ نِيّاتِهِ وَأَهْدافِهِ .»

وَجاءَ ثايريس إلى كليوپاتْرا وَقالَ : « إنَّ أوكْتافيوس قَيْصر يَسْأَلُكِ فَقَطْ أنْ تَتَذَكَّري أنَّهُ القَيْصَرُ ، وَحينَئِذٍ لَنْ يَكونَ هُناكَ سَبَبٌ يَدْعوكِ إلى الخَوْفِ . وَسَوْفَ يُسْعِدُهُ أنْ يَسْمَعَ مِنّي أنَّكِ تَرَكْتِ أنْطونيوس وَأنَّكِ تَضَعينَ نَفْسَكِ تَحْتَ حِمايَةِ قَيْصر .»

أجابَتْهُ كليوپاتْرا : « اِذْهَبْ وَقُلْ لِقَيْصر العظيم إنَّني أُقَبِّلُ يَدَهُ الظّافِرَةَ المُنْتَصِرَةَ .»

وَمَدَّتْ يَدَها لِثايريس لِيُقَبِّلَها ، وَعِنْدَئِذٍ دَخَلَ أنْطونيوس وَشاهَدَ ذَلِكَ فَصاحَ قائِلاً : « اِذْهَبوا بِهَذا الفَتى وأوْسِعوهُ جَلْداً ، ثُمَّ أعيدوهُ ثانِيَةً ، وَسَأُخْبِرُهُ أنا بِما يَقولُهُ لأوكتافيوس قَيْصَر .» ثُمَّ قالَ لِكليوپاتْرا : « أنا لَمْ أنْتَهِ بَعْدُ . لَقَدْ تَماسَكَ جَيْشُنا مِنْ جَديدٍ في شَجاعَةٍ فائِقَةٍ ، وَحَتّى سُفُنُنا تَجَمَّعَتْ . وَحينَ أخوضُ غِمارَ القِتالِ مَرَّةً ثانِيَةً سَأحْمِلُ المَوْتَ عَلى الإعْجابِ بي .»

وَفي مَكانٍ ما عَلى مَشارِفِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ قالَ أوكْتافيوس قَيْصر

بَعْدَ أنْ قَرَأَ خِطابَ أَنْطونيوس : « لَقَدْ قامَ بِضَرْبِ رَسولي إلَيْهِ . غَداً سَنَتَقابَلُ في مَعْرَكَةٍ هِيَ آخِرُ مَعارِكِنا . إنَّني أرْثي لِحالِكَ ، يا أَنْطونيوس !»

وَفي الإسْكَنْدَرِيَّةِ سَمِعَ أَنْطونيوس أنْباءَ المُلوكِ وَقُوّادِ جَيْشِهِ الَّذينَ تَخَلَّوا عَنْهُ ، فَقالَ : « إينوباربوس أيْضاً ؟ أ ذَهَبَ هُوَ الآخَرُ ؟»

أجابَهُ إيروس : « أجَلْ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ شَيْئاً مِنْ كَنْزِهِ .»

« أرْسِلْهُ إلَيْهِ كامِلاً ، وَاكْتُبْ لَهُ خِطابَ وَداعٍ رَقيقاً . وَقُلْ لَهُ إنَّني أتَمَنّى ألا يَكونَ لَدَيْهِ سَبَبٌ غَيْرُ هَذا يَدْفَعُهُ إلى تَغْييرِ سَيِّدٍ بِسَيِّدٍ.»

وَأرْسَلَ أَنْطونيوس صَفْوَةَ جُنْدِهِ لِيُقاتِلوا الرّومانَ في مَعْرَكَةٍ بَحْرِيَّةٍ. وَلَكِنَّ أوكْتاڤيوس احْتَفَظَ بِمُعْظَمِ جَيْشِهِ بَرًّا . وَفي المَعْرَكَةِ البَحْرِيَّةِ انْضَمَّ المِصْرِيّونَ إلى الرّومانِ وَحارَبُوا مَعَهُمْ . وَلَمْ تَكُنْ كليوپاتْرا قَدْ أمَرَتْهُمْ بِذَلِكَ .

وَكانَ أَنْطونيوس يَرْقُبُ المَعْرَكَةَ مِنْ فَوْقِ أحَدِ التِّلالِ ، وَعادَ يَكادُ يَتَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ مِنَ المِصْرِيّينَ وَمِنْ كليوپاتْرا ، وَأخَذَ يَقولُ : « لَقَدْ خَسِرْتُ كُلَّ شَيْءٍ . لَقَدْ باعَتْني تِلْكَ المَرْأَةُ المِصْرِيَّةُ لِلْعَدُوِّ . لَقَدْ حَطَّمَتْني .»

وَرَأى كليوپاتْرا آتِيَةً إلَيْهِ فَصاحَ بِها : « اِذْهَبي ! اِذْهَبي إلى



أوكْتافيوس قَيْصَر . دَعيهِ يَأخُذْكِ لِيَعْرِضَكِ عَلى الجَماهيرِ المُحْتَشِدَةِ في روما ، وَدَعي أوكْتافيا تُمَزِّقْ وَجْهَكِ بِأظافِرِها .»

وَلَقَدْ كانَ عَنيفاً في غَضَبِهِ عُنْفاً بَعَثَ الرُّعْبَ في قَلْبِ كليوپاتْرا فَصاحَتْ :

« النَّجْدَةَ يا وَصيفاتي ! لَقَدْ جُنَّ !»

وَأَسْرَعْنَ بِها إلى ضَريحِها الَّذي كانَتْ قَدْ بَنَتْهُ لِنَفْسِها ، غَيْرَ أَنَّها كانَتْ لا تَزالُ خائِفَةً هَلِعَةً ؛ وَلِذَلِكَ أَمَرَتْ خادِمَها مارْديان أَنْ يَذْهَبَ وَيُخْبِرَ أَنْطونيوس بِأَنَّها ماتَتْ .

وَحينَئِذٍ كانَ أَنْطونيوس مَعَ صَديقِهِ إيروس يَقولُ :

« لَقَدْ قُمْتُ بِهَذِهِ الحُروبِ مِنْ أَجْلِ مِصْرَ وَمَلِكَتِها ، وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنّي اسْتَحْوَذْتُ عَلى قَلْبِها ؛ فَقَدِ اسْتَحْوَذَتْ هِيَ عَلى قَلْبي . وَلَكِنَّها انْضَمَّتِ الآنَ إلى أوكْتافيوس قَيْصر . لا تَبْكِ يا إيروس ؛ فَقَدْ بَقِيَتْ لَنا فُرْصَةُ الانْتِحارِ .»

وَجاءَ إِلَيْهِما مارْديان وَقالَ : « لا ، يا أَنْطونيوس . إنَّ مَوْلاتي كليوپاتْرا كانَتْ تُحِبُّكَ .»

« اُغْرُبْ عَنّي . لَقَدْ حَطَّمَتْني ، وَسَأُمَزِّقُها إِرْباً إِرْباً .»

« إنَّ الإنْسانَ يَموتُ مَرَّةً واحِدَةً فَقَطْ . ما تُريدُ أنْ تَفْعَلَهُ قَدْ وَقَعَ . وَكانَتْ آخِرُ كَلِماتِها : « أنْطونيوس .. يا أشْرَفَ الرِّجالِ ! » »

« إذاً ، فَقَدْ ماتَتْ ؟ »

« أجَلْ . »

وَأمرَ أنْطونيوس مارْديان بالانْصِرافِ ، ثُمَّ طَلَبَ إلى إيروس أنْ يُساعِدَهُ في خَلْعِ دِرْعِهِ .

وَأخَذَ أنْطونيوس يُناجي روحَ كليوباتْرا ، وَقَدْ كانَ يَعْتَقِدُ أنَّها ماتَتْ :

« سَألْحَقُ بِكِ في السَّماءِ سَريعاً ، وَلَكِنّي أسْألُكِ الصَّفْحَ عَنّي . انْتَظِريني حَيْثُ تَهيمُ النُّفوسُ حَوْلَ الأزْهارِ ، وَسَوْفَ نَسيرُ وَيَدانا مُتَعانِقَتانِ ، وَنَجْعَلُ أرْواحَ المَوْتى تَتَطَلَّعُ إلَيْنا وَتُشاهِدُ ما نَحْنُ فيهِ مِنْ سَعادَةٍ . لَقَدْ تَعَهَّدْتَ ، يا إيروس ، عِنْدَما وَهَبْتُكَ حُرِّيَّتَكَ أنَّكَ سَتَقْتُلُني حينَ يَحينُ الوَقْتُ . ها قَدْ حانَ ، فَلْتَفِ بِوَعْدِكَ . »

وَاسْتَلَّ إيروس سَيْفَهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ أنْطونيوس بَلْ قَتَلَ نَفْسَهُ .

وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ أمامَ أنْطونيوس سِوى أنْ يُلْقِيَ بِنَفْسِهِ عَلى سَيْفِهِ ، وَلَكِنَّهُ أخْفَقَ في أنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ فَصاحَ بِحَرَسِهِ :

« فَلْيَقُمْ مَنْ يُحِبُّنِي بِضَرْبِي الضَّرْبَةَ القاتِلَةَ .»

وَلَكِنَّ الحَرَسَ رَغْمَ حُبِّهِمُ الشَّديدِ لَهُ لَمْ يَجْرُؤْ واحِدٌ مِنْهُمْ عَلى ذَلِكَ .

وَبَيْنما هُوَ في ذَلِكَ إذا بِخادِمٍ مِنْ خَدَمِ كليوپاتْرا ، يُدْعى ديوميديس ، يَفِدُ عَلَيْهِ وَيقولُ :

« لَقَدْ أَرْسَلَتْني مَوْلاتي إلَيْكَ . إنَّها في ضَريحِها . لَقَدْ خافَتْ غَضَبَكَ ، حينَ ظَنَنْتَ أَنَّها انْضَمَّتْ إلى قَيْصَر ؛ وَلِهَذا أَرْسَلَتْ إلَيْكَ رِسالَةً تَقولُ إنَّها ماتَتْ . وَبَعْدَئِذٍ خافَتِ العاقِبَةَ ؛ فَأَرْسَلَتْني لأُخْبِرَكَ بِالحَقيقَةِ : إنَّها لَمْ تَمُتْ . وَلَكِنَّني أَخْشى أَنْ أَكونَ قَدْ جِئْتُ بَعْدَ فَواتِ الوَقْتِ .»

« أَجَلْ بَعْدَ فَواتِ الوَقْتِ ، يا ديوميديس . نادِ الحُرّاسَ .»

وَحَمَلَهُ حَرَسُهُ إلى بابِ الضَّريحِ .

وَهُناكَ قالَ : « إنّي عَلى شَفا المَوْتِ ، يا مَليكَةَ مِصر . وَلَكِنّي سَأَرْجو المَوْتَ أَنْ يَسْتَأْنِيَ حَتّى أَطْبَعَ قُبْلَةً أَخيرَةً عَلى شَفَتَيْكِ .»

قالَتْ كليوپاتْرا : « لَنْ أَجْرُؤَ عَلى فَتْحِ البابِ ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيَّ أوكْتافيوس قَيْصر . فَلْتُساعِدْنَني ، يا وَصيفاتي . يَجِبُ أَنْ نَرْفَعَهُ

إِلَيْنا .»

وَتَكاتَفَ الجَميعُ في رَفْعِ أَنْطونيوس إِلى النّافِذَةِ ، ثُمَّ إِلى داخِلِ الضَّريحِ ، فَصاحَتْ كليوپاتْرا :

« مَرْحَبًا بِكَ ، مَرْحَبًا بِكَ .» وَقَبَّلَتْهُ .

« إِنَّني عَلى شَفا المَوْتِ ، يا مَليكَةَ مِصر . عَلى شَفا المَوْتِ .»

« يا أَشْرَفَ الرِّجالِ ، أَلا يَهُمُّكَ أَمْري ؟ أَنّى لي أَنْ أَبْقى في هَذِهِ الحَياةِ بِدونِكَ ؟»

وَسَرْعانَ ما أَسْلَمَ أَنْطونيوس الرّوحَ ، فَسَقَطَتْ كليوپاتْرا مَغْشِيًّا عَلَيْها .

صاحَتْ أَيْراس : « لَقَدْ ماتَتْ هِيَ أَيْضًا . أَيْ مَليكَتَنا ! مَليكَةَ مِصر ! أَيَّتُها القَيْصَرَةُ !»

وَتَحَرَّكَتْ كليوپاتْرا وَفَتَحَتْ عَيْنَيْها قائِلَةً :

« قَيْصَرَةٌ ! لَسْتُ بِقَيْصَرَةٍ بَعْدُ . ما أَنا إِلّا امْرَأَةٌ تَتَأَثَّرُ بِنَفْسِ المَشاعِرِ وَالرَّغَباتِ الَّتي تَتَأَثَّرُ بِها فَتاةٌ تَحْلِبُ الأَبْقارَ وَتَقومُ بِأَحْقَرِ الأَعْمالِ . لَقَدْ سَلَبَتْنا الآلِهَةُ جَوْهَرَتَنا وَأَصْبَحَتِ الحَياةُ كَالعَدَمِ . أَ حَرامٌ عَلَيْنا بَعْدَ هَذا أَنْ نَنْدَفِعَ إِلى بَيْتِ المَوْتِ المُظْلِمِ قَبْلَ أَنْ يَجْرُؤَ

المَوْتُ عَلى المَجيءِ إلَيْنا ؟»

* * * *

كانَ أوكْتافيوس قَيْصر يُريدُ أنْ يَقْتادَ كليوپاتْرا وَ وَصيفاتِها أسيراتٍ في شَوارِعِ رُوما ؛ لِيَرى النّاسُ كيف كانَ غازِياً عَظيماً . وَحينَ سَمِعَ بِمَوْتِ أنْطونيوس خَشِيَ أنْ تَقْتُلَ كليوپاتْرا نَفْسَها ؛ فَأرْسَلَ ضابِطاً إلى الضَّريحِ وأمَرَهُ أنْ يَتَحَدَّثَ إلى كليوپاتْرا مِنْ بَيْنِ القُضْبانِ ، بَيْنَما يَقُومُ بَعْضُ الجُنودِ بِتَسَلُّق سُلَّم إلى النّافِذَةِ ، ثُمَّ يَهْبِطونَ إلى الضَّريحِ .

وَأخَذَ الضّابِطُ في الحَديثِ ، ثُمَّ فُتِحَتِ الأبْوابُ فَإذا بِالجُنْدِ وقوفٌ وَراءَ كليوپاتْرا وَ وَصيفاتِها .

قالَ الضّابِطُ لِجُنودِهِ : « اِقْبِضوا عَلَيْها ، حَتّى يَأتِيَ أوكْتافيوس قَيْصَر .»

وَصاحَتْ شارْميان : « أيْ كليوپاتْرا ، لَقَدْ وَقَعْتِ في الأسْرِ .»

وَاسْتَلَّتْ كليوپاتْرا خِنْجَراً ، وَلَكِنَّ الضّابِطَ انْتَزَعَهُ مِنْ يَدِها ، فَصاحَتْ : « أَيُّها المَوْتُ ، أيْنَ أنْتَ ؟ أقْبِلْ ! اُدْنُ وَاقْبِضْ إلَيْكَ مَلِكَةً . لَنْ آكُلَ أوْ أشْرَبَ أوْ أنامَ . سَوْفَ أحَطِّمُ هَذا الجَسَدَ التَّعِسَ.

لَنْ أدَعَهُمْ يَعْرِضونَني أمامَ الجَماهيرِ المُحْتَشِدَة في شَوارِعِ روما .»

وَجاءَ أوكْتافيوس قَيْصَر وَتَحَدَّثَ إلى كليوپاتْرا ، فَتَظاهَرَتْ بأنَّها صَدَّقَتْ ما قالَ . وَعِنْدَما ذَهَبَ هَمَسَتْ إلى شارْميان أنْ تَجِدَ مُزارِعاً يُحْضِرُ بَعْضاً مِنَ الأفاعي السّامَّةِ مُخَبَّأةً في سَلَّةٍ مِنْ سِلالِ الفاكِهَةِ، فَفَعَلَتْ وَجاءَ الرَّجُلُ .

وَأذِنَ الحُرّاسُ لَهُ بِالدُّخولِ وَهُوَ يَحْمِلُ السَّلَّةَ .

وَحِينَئِذٍ أخَذَتْ كليوپاتْرا تَتَهَيَّأُ لِقَتْلِ نَفْسِها ، فَأمَرَتْ أيراس أنْ تُحْضِرَ تاجَهَا وَكُلَّ مَلابِسِها المَلَكِيَّة . وَعادَتْ أيراس تَحْمِلُ تاجَ مِصْرَ وَالحُلَّةَ الحَريرِيَّةَ ، فَقالَتْ لَها كليوپاتْرا :

« هاتي حُلَّتي وَضَعي التّاجَ عَلى رَأسي . أسْرِعي يا أيراس . يَبْدو لي أنَّني أسْمَعُ أنْطونيوس يُنادي . أيْ زَوْجي ! إنَّني آتِيَةٌ . هَذِهِ شَجاعَتي تُبَرْهِنُ الآنَ عَلى أنّي أهْلٌ لأنْ أدْعُوَكَ زَوْجاً . أيْراس ، هَلْ أتْمَمْتِ كُلَّ شَيْءٍ ؟ هَيّا إذاً ، يا شارْميان ، وَأنْتِ يا أيراس ، لِتَتَلَقَّيا دِفْءَ آخِرِ قُبُلاتي . وَداعاً ! وَداعاً !» وَقامَتْ بِتَقْبيلِهِما .

وَلَكِنَّ أيراس سَقَطَتْ مَيْتَةً حُزْناً وَكَمَداً ؛ لَقَدِ انْكَسَرَ قَلْبُها ، فَنَظَرَتْ إلَيْها كليوپاتْرا وَقالَتْ : « أ كانَ عَلى شَفَتَيَّ سُمٌّ جَعَلَكِ تُغادِرينَ الحَياةَ بِهَذِهِ السُّهولَةِ ؟»



وَحينَئِذٍ أخَذَتْ كليوپاتْرا حَيَّةً وَدَفَعَتْها إلى صَدْرِها قائِلَةً : « هَلُمّي الآنَ ، وَحُلّي بِأنْيابِكِ الحادَّةِ عُقْدَةَ الحَياةِ .»

صَاحَتْ شارْميان : « وا نَجْمَةَ المَشْرِقِ ! »

قَالَتْ كليوپاتْرا : « الهُدوءَ ، الهُدوءَ ! أيْ أنْطونيوس ، سَوْفَ آخُذُ هَذِهِ أيْضاً .» وَدَفَعَتْ إلى ذِراعِها بِأفْعًى أخْرى فَفارَقَتْها الحَياةُ ، وَأسْبَلَتْ شارْميان عَيْنَيْها وَثَبَّتَتِ التّاجَ عَلى رَأسِها . وَدَخَلَ إلى المَكانِ حارِسانِ وَسَألَ أحَدُهُما : « أيْنَ المَلِكَةُ ؟ »

قالَتْ شارْميان : « تَكَلَّمْ بِهُدُوءٍ . لا توقِظْها .»

قالَ : « إنَّ أوكْتافيوس قَيْصر قَدْ أرْسَلَ ...»

أجابَتْهُ شارْميان : « قَدْ أرْسَلَ رَسولاً بَطيئاً جِدًّا .»

وَدَفَعَتْ شارْميان بِأفْعى إلى ذِراعِها فَخَرَّتْ صَريعَةً ، وَعِنْدَئِذٍ دَخَلَ قَيْصر وَحاشِيَتُهُ ، فَقالَ أحَدُ أفْرادِها : « مَوْلاي ، إنَّهُنَّ مَوْتى ؟ »

وَتَأمَّلَ أوكْتافيوس كليوپاتْرا ، وَقالَ : « ما أشْجَعَها في مُجابَهَةِ المَوْتِ ! أما وَهِيَ مَلِكَةٌ فَقَدْ أنْفَذَتْ مَشيئَتَها عَلى النَّحْوِ الَّذي أرادَتْ . سَوْفَ تُدْفَنُ إلى جانِبِ أنْطونيوس ، وَلَنْ يوجَدَ عَلى الأرْضِ قَبْرٌ يَضُمُّ اثْنَيْنِ لَهُما ما لِهَذَيْنِ مِنْ شُهْرَةٍ وَصيتٍ .»

روائع شكسبير

١- كما تهوى وزوبعة في فنجان

٢- تاجر البندقية وقصص أخرى

٣- الليلة الثانية عشرة وترويض الشرسة

٤- عطيل وقصتان أخريان

٥- روميو وجولييت . ماكبث . أنطونيوس وكليوباترا

